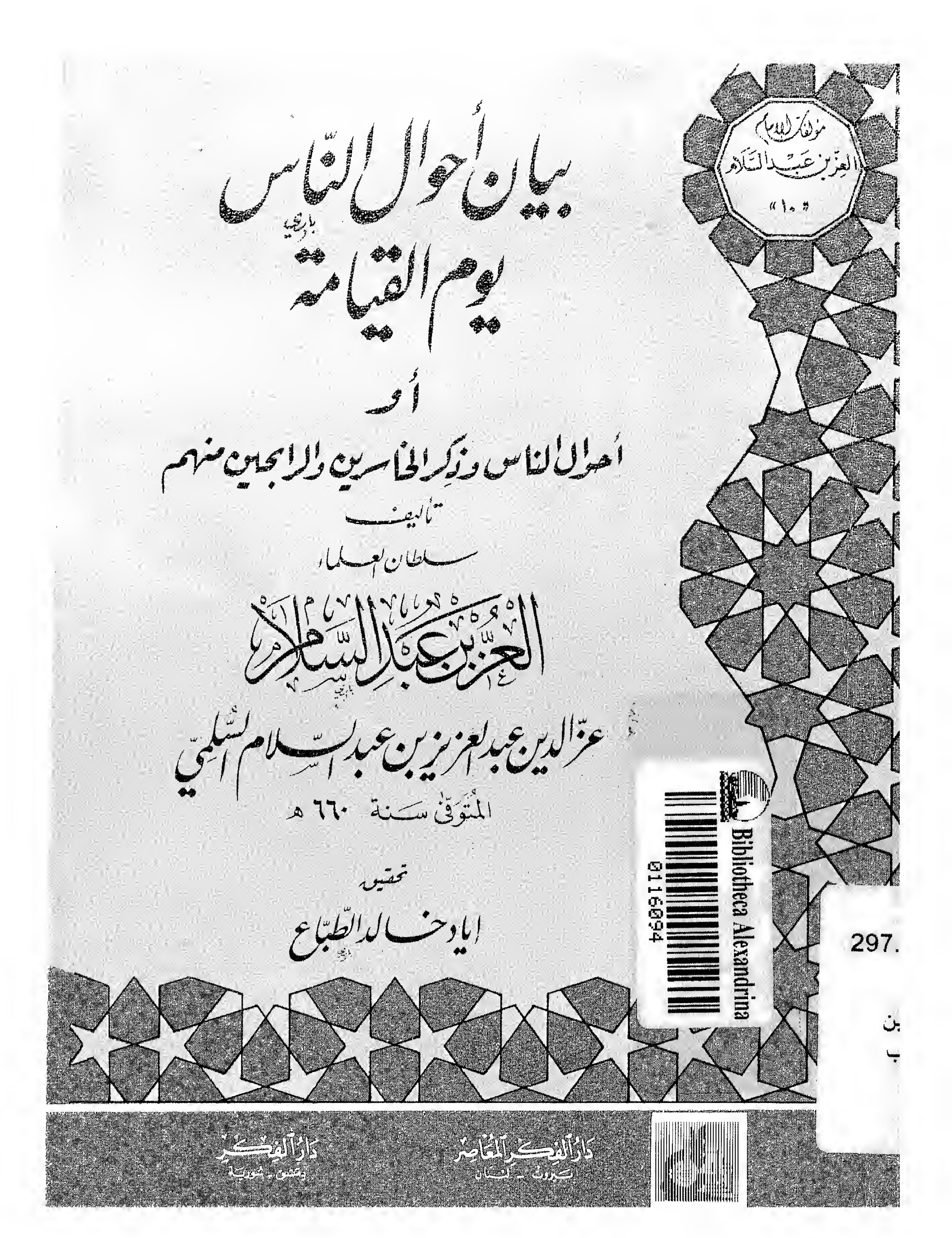

مؤلفات الإمام العز بن عبد السلام
"١٠"
بيان أحوال الناس يوم القيامة
أو
أحوال الناس وذكر الخاسرين والرابحين منهم
تأليف
سلطان العلماء
العز بن عبد السلام
عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي
المتوفى سنة ٦٦٠ هـ
تحقيق
اياد خالد الطباع
دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان
دار الفكر
دمشق - سورية

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان أحوال النّاس يوم القيامة

مؤلفات الإمام
العز بن عبد السلام
«١٠»

بيان أحوال النّاس يوم القيامة

أو

أحوال الناس وذكر الخاسرين والرابحين منهم

تأليف

سلطان العلماء

العز بن عبد السلام

عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السُّلمي
المُتوفَّى سنة ٦٦٠ هـ

تحقيق
إياد خالد الطبّاع

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

دار الفكر
دمشق - سورية

الكتاب ١٠١٩

الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ = ١٩٩٥ م

دار الفكر بدمشق

سورية ـ دمشق ـ برامكة مقابل مركز
الانطلاق الموحد ـ ص.ب (٩٦٢)
برقياً: فكر ـ س.ت ٢٧٥٤
هاتف ٢٢٣٩٧١٧، ٢٢١١١٦٦
فاكس ٢٢٣٩٧١٦
تلكس FKR 411745 Sy

الصف التصويري: دار الفكر بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمدُ للّهِ ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلام على أشرفِ المرسلين محمدٍ ، وعلى آلهِ وأصحابه أجمعين .

أما بعد ، فهذه رسالةٌ أُخرى لسلطانِ العلماء العزِّ بنِ عبدِ السلام رحمهُ الله ، عَقَدتُ العزمَ على نشرِها لِما فيها من فوائدَ لطيفةٍ ، وإشاراتٍ حسنة ، وعلمٍ عزيز ، في بيانِ أحوالِ الناس ؛ تكلّم فيها مؤلّفُها عن المفاضلة بينهم ، كما تكلّم عن المفاضلة مع غيرهم كالملائكة والجَمادات . كما عَرضَ لِلَذّات الجَنة وأفراحِها ، وغُمومِ النارِ وآلامِها ، ثم لَذّاتِ الدنيا وأفراحِها وغُمُومِها وآلامِها ، وألحق ذلك بذكرِ الإحسانِ القاصرِ والمتعدّي والإساءةِ القاصرة ، والمتعدّية ، ثم أتبَعَ ذلك بذكر فوائدَ متفرّقةٍ مفيدة .

وهذه الرسالةُ النّفيسةُ النادرة لا يكادُ يكونُ لها إلّا نسخةٌ وحيدةٌ في العالم ؛ إذ لم نجدْ لها ثانيةً ، رغم بحثيَ الكثير في فهارسِ المخطوطات ، وتتبُّعِي ما للعزّ من مخطوطاتٍ في العالم[1] .

---

(١) انظر مقدّمتي لكتاب المؤلف (شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال) ، ففيها خلاصة بحثي حول مخطوطاته .

وهذه النسخةُ محفوظةٌ في دار الكتب المصرية برقم (٣٥ أخلاق تيمور) ، وعنها مصورتان : الأولى في الدار نفسِها على ميكروفيلم برقم (١١٣٦٦) ، والأخرى في مكتبةِ الأسد الوطنيّة .

وهذه النسخة مرويّة عن علي بن إسماعيل المخزوميّ ، وإبراهيم بن علي الخيمي .

فأمّا الأول فهو نور الدين أبو الحسن علي بن إسماعيل بن قريش المخزومي ، وُلد سنة ٦٥٢ ، وسمِعَ المُنْذِريّ ، والعَطّار ، والحَمَويّ ، والعزَّ بنَ عبدِ السَّلام ، وآخرين ، وهو آخِرُ من حدَّثَ عن المنذري بالسَّماع ، وآخِرُ مَن حدَّث عنه بالسَّماع أبو الفرج بن الغزّيّ . توفي رحمه الله سنة ٧٣٢[١] .

وأمّا الآخَرُ فهو مجدُ الدّين أبو إسحاق إبراهيم بن عليّ بن الخيمي ، سمِعَ من الرشيد العطّار وإبراهيم بن مضر وغيرهما[٢] .

وسبَقَ لهذا الرّسالةِ أن نُشِرتْ في طبعةٍ مشوَّهةٍ ، طالَها التصحيفُ والتحريف تارةً ، والسَّقطُ والإقحام تارةً أُخرى[٣] . فقد أحصَيْتُ فيها ما يزيدُ على خمسين تشويهاً للنّصّ من الأنواعِ المذكورة آنِفاً . لذلك كان من الواجبِ ـ وقد مَنَّ الله عليَّ بمهمّة تحقيق مؤلّفاتِ الإمام العزّ ـ أن

---

(١) ترجمته في (أعيان العصر وأعوان النصر) ٢/١٦٧ ، و(الدر الكامنة) ٤/٢٧ ، وفيه لقبه : « تاج الدين » .

(٢) ترجمته في (الدر الكامنة) ١/٥٢ .

(٣) صدرت عن دار الصحابة للتراث بطنطا ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ .

أُعيدَ نشرَ هذه الرّسالة بإخراجٍ علميٍّ أمين ، لِتنتظمَ مع أخواتها عقداً في هذه السلسلةِ المباركة إن شاء الله تعالى .

واتَّبعتُ في تحقيقِ النّصِ المنهجَ نفسَه الذي سلكتُه في كتاب المؤلّف الأوّل من هذه السلسلة (شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال) والذي بَيَّنْتُهُ ثَمَّ في ص41 ، إلاّ أنّني رمزتُ بالحرف (ق) لكتاب المؤلف (قواعد الأحكام في مصالح الأنام) الذي أورد شَطْراً من الرسالة في آخره تحت « فصل في بيان أحوال الناس » . وفي يقيني أنّ هذا الفصلَ ملحقٌ بالكتاب وليس منه ، إذ لم يرد في النسخة المقابلة على المقروء على المؤلّف ، بالإضافة إلى النسخة المكتوبة سنة ٦٦٩ القريبة العهد بمؤلّفها ، والمحفوظتين في مكتبةِ الأسد الوطنية[1] ، وإنّما ورد هذا الفصل في طبعة قديمة لقواعد الأحكام نشرها طه عبد الرؤوف سعد دون الإشارة إلى الأصل المنقول منه .

أخيراً ، فإنّني أسألُ الله سبحانه وتعالى أن يجنِّبنا ما فيه سَخَطُه ، ويرزقَنا ما فيه رِضاه ، وأنْ ينفعَ بها العِبادَ والبلاد ، إنّه أكرمُ مسؤول ، والحمدُ لله ربِّ العالمين

إياد خالد الطباع

---

(١) حيث اعتمدهما الأستاذ الشيخ عبد الغني الدقر أصلَيْن لتحقيق كتاب (قواعد الأحكام) للإمام العزّ ، الصادر عن دار الطباع سنة ١٤١٣ ، وهي الطبعة الأولى الكاملة له .

راموز لبداية ونهاية مخطوطة بيان أحوال الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم

وبه نستعين وما توفيقي إلا بالله

أخبرنا المشايخُ الأئمةُ نورُ الدين أبو الحسن عليّ بنُ إسماعيل بنِ قريش المخزوميّ ، ومجدُ الدين أبو إسحاق إبراهيم بنُ عليّ بنِ الخَيْمِي[1] في آخرين إذناً قالوا :

أخبرنا الإمامُ العلّامةُ شيخُ الإسلام أبو محمدٍ عبدُ العزيز بنُ عبد السَّلام السُّلَمي الشافعي المؤلِّف إجازةً قال :

١ ـ فصل في بيان أحوال الناس

معظمُ الناس خاسرون وأقلُّهم رابحون ؛ فَمَنْ أراد أن ينظُرَ في خُسره وربحِه فَلْيعرضْ نفسَه على الكتاب والسُّنّة ، فإنْ وافَقَهما[2] فهو الرابحُ إنْ صدَق ظَنُّه في موافقتهما[3] ، وإنْ كذَب ظنّه فيا حسرةً عليه .

وقد أخبرَ الله بخسارة[4] الخاسرين وربحِ الرَّابحين فأقسَم بالعصرِ إنَّ الإنسانَ لفي خُسرٍ ، إلّا مَن جَمَع[5] أربعةَ أوصاف :

---

(١) سبقت ترجمتهما في المقدّمة .

(٢) تحرّفت في المطبوعة إلى (وافقها) .

(٣) تحرّفت في المطبوعة إلى (موافقتها) .

(٤) ق : (بخسران) .

(٥) ق : (اجتمع فيه) .

أحدها : الإيمان .

والثاني : العملُ الصالح .

والثالث : التَّوَاصي بالحقّ .

والرابع : التَّوَاصي بالصّبر .

وقد رُوِيَ أنَّ الصحابةَ كانوا إذا[1] اجتمعوا لم يفترقوا حتى يقرؤها[2] .

واختُلِفَ في العصر ، فقيل : هي الصلاةُ الوسطى : صلاةُ العصرِ[3] . [وقيل : العصر][4] آخر النهار .

وقيل : العصر الدهر[5] .

واختُلفَ في الصَّالحات ، فقيل : هنَّ[6] الفرائض[7] .

وقيل : هي الأعمالُ الصالحات .

---

(١) اللفظتان سقطتا من المطبوعة .

(٢) ورد ذلك عند الطبراني في (الأوسط) ، والبيهقي في (شعب الإيمان) ، عن أبي مليكة الدارمي ، وكانت له صحبة ، قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا التقيا لم يتفرّقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة ﴿ والعصر إنَّ الإنسانَ لفي خُسر﴾ إلى آخرها ، ثم يسلّمُ أحدهما على الآخر .

(٣) انظر رواة ذلك في (الدر المنثور) للسيوطي ١/٥٣٧ .

(٤) زيادة من (ق) .

(٥) أخرجه ابن جرير في (تفسيره) ٣٠/٢٩٠ ، عن عليّ رضي الله عنه .

(٦) ق : « هي » .

(٧) أخرجه ابن جرير في (تفسيره) ٣٠/٢٩٠ ، عن مجاهد .

واختُلفَ في الحقّ ، فقيل : هُو الله ، والتقدير : وتواصَوا بطاعةِ الحق .

وقيل : الإسلام .

وقيل : القرآن[١] ، والتقدير : وتواصَوا باتّباعِ الحقّ ، كقوله : ﴿ اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ٣] ، وقوله : ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [الأحزاب : ٢] .

وأمّا **الصَّبر** فيحتملُ : أنْ يُرادَ به الصَّبرُ على الطاعات[٢] ، فيدخلُ فيه[٣] الصبر على المعصية ، وعلى الطاعة .

ويحتمل : الصبر على المصائب والبَلِيَّات .

ويحتمل : الصبر[٤] على البَلِيَّات والطاعات ، وعن المعاصي والمخالفات .

واجتماعُ هذه الخِصال في الإنسان عزيزٌ نادر في هذا الزمان ، وكيف يتحقَّقُ الإنسانُ أنّه جامعٌ لهذه الصِّفات التي أقسمَ الله على خُسرانِ مَن خَرج عنها ، وبَعُدَ منها معَ علمه بِقُبحِ أقوالِه ، وسُوءِ أعماله : فكم مِن عاصٍ يظُنُّ أنّه مُطِيعٌ ، ومِن بعيدٍ يعتقدُ[٥] أنّه قريب ، ومِن مخالفٍ

(١) أخرجه عبد الرزاق ، وابن جرير في « جامع البيان » ٣٠/٢٩٠ ـ ٢٩١ ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن قتادة ؛ كما في (الدر المنثور) ٦/٦٦٧ .

(٢) أخرجه ابن جرير في (تفسيره) ٣/٢٩١ . عن قتادة والحسن .

(٣) سقطت من (ق) .

(٤) سقطت من (ق) .

(٥) ق : « يظن » .

يعتقدُ أنّه موالف[1] ، ومِن منتهِكٍ يعتقدُ أنه متنسِّك ، ومِن مُدْبِرٍ يعتقدُ أنّه مُقبل، ومِن هاربٍ يعتقد أنّه طالب، ومِن جاهلٍ يعتقدُ أنه عارف ، ومِن آمِنٍ يعتقدُ أنّه خائف ، ومِن مُرَاءٍ يعتقدُ أنّه مخلِص ، ومِن ضالٍّ يعتقدُ أنّه مُهتدٍ ، ومِن عَمٍ[2] يعتقدُ أنّه مُبصِر ، ومِن راغبٍ يعتقدُ أنّه زاهد[3] .

كم مِن عملٍ يعتمدُ عليه المُرَائي وهو وَبالٌ عَلَيه ، وكم مِن طاعةٍ يَهلِكُ بها المسمِّع[4] وهي مردودةٌ إليه .

والشَّرعُ ميزان يُوزنُ به الرجال ، وبه يَتبيّنُ[5] الرِّبح و[6] الخسران ، فمن رجحَ في[7] ميزانِ الشرع كان مِن أولياءِ الله .

وتختلفُ مراتبُ الرُّجحان ، فأعلاها مراتبُ الأنبياءِ فمَنْ دُونهم ، ولا تزالُ تتناقصُ الرُّتبُ إلى أن تنتهيَ إلى أقلِّ مراتبِ الرُّجحان[8] .

ومَن نقصَ في ميزانِ الشَّرع فأولئك أهلُ الخُسران ، وتتفاوتُ

---

(١) ق : « موافق » .

(٢) ق : « أعمى » .

(٣) تحرّفت في المطبوعة إلى : « مخلص » .

(٤) تحرفت في المطبوعة إلى « المتسمع » وسقط الضمير بعدها .

(٥) ق : « يتيقن » .

(٦) ق : « من » .

(٧) تحرّفت في المطبوعة إلى : « ربح من » .

(٨) قوله : « فأعلاها . . . الخ » سقط من (ق) .

خِفَّتُهم في المِيزان ؛ فأخَسُّها[١] مراتبُ الكُفّار ، ولا تزالُ المراتب[٢] تتناقصُ حتى تنتهي إلى مرتبةِ[٣] مرتكبِ أصغرِ الصَّغائر .

فإذا رأَيْتَ إنساناً يَطيرُ في الهواء ، ويمشي على الماء ، أو يُخبرُ عن المغيَّبات ثم يخالفُ الشَّرعَ بارتكابِ المحرَّمات بغير سببٍ [محلّل][٤] ، و[٥] يتركُ الواجباتِ بغير سببٍ مجوِّز، فاعلَمْ أنّه شيطانٌ نصَبه الله فتنةً للجَهَلة ، وليس ذلك ببعيدٍ من الأسباب التي وضعها الله للضلال ، فإنَّ الدَّجَّال يُحيي ويُميتُ فتنةً لأهلِ الضّلال ؛ وكذلك يأتي الخربة فتتبعُه كُنوزُها كيَعاسيبِ النحل ؛ وكذلك يَظهرُ للناس أنَّ معه جنَّةً وناراً ، وناره جنة ، وجَنَّتُه نار[٦] ؛ وكذلك يأكلُ الحيّات ، ويدخلُ النيرانَ ليقتدوا به في ضلالتِه ويُتابعوه على جهالتِه[٧] .

---

(١) تحرّفت في المطبوعة إلى : « فأخفها » .
(٢) سقطت من المطبوعة .
(٣) ق : « منزلة » .
(٤) زيادة من (ق) .
(٥) ق : « أو » .
(٦) كما في (صحيح مسلم) (٢٩٣٦) في الفتن : باب : ذكر الدجال وصفته وما معه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٧) انظر الكتاب الفذّ (التصريح بما تواتر في نزول المسيح) للكشميري ، ففي التعليق عليه فوائد نادرة ، وعلم غزير .

٢ ـ فصل في معرفة تفضيل بعض الموجودات الحادثات(١) على بعض

الجواهرُ والأجسامُ كُلُّها متساويةٌ مِن جهةِ ذواتِها ، وإنَّما يفضُلُ بعضُها على بعضٍ بصفاتِها وأعراضِها ، وانتسابِها إلى الأوصافِ الشريفة ، والفضائلِ(١) النَّفيسة .

والفضائلُ ضربان :

أحدهما : فضائلُ الجَمادات ، كفضلِ الجوهر على الذَّهب ، وفضلِ الذهبِ على الفضة ، وفضلِ الفِضَّةِ على الحديد ، وفضلِ الأنوار على الظُّلُمات ، وفضلِ الشّفاف على غيرِ الشّفاف ، وفضلِ اللطيفِ على الكثيف ، والنَّيِّرِ على المُظلِم ، والحَسن على القبيح(٢) .

الضّرب الثاني : فضائل الحَيَوان(٣) ، وهي أقسام :

أحدها : حُسنُ الصُّور(٤) .

---

(١) ق : « الأفعال » .

(٢) قال المؤلّف رحمه الله في كتابه (الفوائد في اختصار المقاصد ، أو ، القواعد الصغرى) في فصل في بيان الفضائل : « وأما تفضيل بعض الجمادات فبأوصاف حقيقية كتفضيل اللؤلؤ والمَرْجان على غيرِهما ، وتفضيل الأجرام النَّيِّرات على غيرها » .

(٣) تحرّفت في (ق) إلى : « الخيرات » .

(٤) ق : « الصورة » .

والثاني : قُوَّةُ[١] الأجسام كالقُـوى الجاذبـة[٢] ، والممسِكة ، والدَّافعِة ، والغازِية ، والقُوى على الجهاد ، والقتال ، وحملِ الأعباءِ والأثقال .

والثالث : الصِّفات الدَّاعيةُ للخُيُور ، والوازعة عن الشُّرور كالْغَيْرة والنَّخْوَة ، والحَياء ، والشَّجاعة ، والحِلْم ، والأَناة ، والسَّخاء .

الرابع : العُقول .

الخامس : الْحَواس .

السّادس : العُلومُ المكتسَبة وهي أقسام :

أحدها : معرفةُ وُجودِ الإله وصفاتِه : الذاتيّة ، والسَّلْبيّة ، والفِعْلية[٣] .

الثاني : معرفةُ إرسالِ الرُّسُل ، وإنزالِ الكُتب ، وتنبئةِ[٤] الأنبياء .

الثالث : معرفةُ ما شرَعَه الله في الأحكامِ الخمسة[٥]وأسبابِها ، وشرائطِها[٦] ، وموانِعها[٧] .

---

(١) تحرفت في (ق) إلى : « قوى » .
(٢) تحرّفت في (ق) إلى : « الحادثة » .
(٣) تحرّفت في (ق) إلى : « العقلية » .
(٤) تحرّفت في (ق) إلى « تنبيه » .
(٥) الأحكام الخمسة هي : الوُجوب ، والتَّحرِيم ، والنَّدب ، والكَراهة ، والإباحة .
(٦) ق : « شرائعها » .
(٧) ق : « توابعها » .

السابع : الأحوالُ النّاشئة عمّا ذكرناه من المعارف ؛ كالخوف ، والرَّجاء ، والمحبّة ، والحَياء ، والتوكُّل ، والتعظيم ، والإجلال[١] .

الثامن : القيامُ بطاعةِ الله في كلِّ ما أمَر به أو نَهى عنه .

التاسع : ما رتَّبه الله على هذه المعارفِ والأحوالِ والطّاعات من لَذّات الآخِرة وأفراحِها بالنَّعيم الجُثماني[٢] والرُّوحاني ؛ كلَذّة الأمنِ مِن عذابِ الله ، والأنسِ بِقربِه وجوارِه ، وسماعِ سلامِه[٣] وكلامه ، وتبشيره بالرِّضا الدائم ، وكذلك النَّظَرُ إلى وجهِه الكريم مع الخلاصِ مِن العَذاب الأليم[٤] .

فهذه فضائلُ ، بعضُها أفضلُ مِن بعض ، فمَنِ اتّصفَ بأفضلِها كان أفضلَ[٥] البرّية ، ولا شكَّ أنَّ معرفةَ الله ، ومعرفةَ صفاتِه ولَذّاتِ رضاه ، والنَّظرَ إلى وجهِه أفضلُ ممّا عداهُنّ .

وأفضلُ الملائكةِ مَن كان[٦] به أفضلُ هذه الصفات ، فإنْ تساوى اثنان مِن الملائكة في ذلك لم يَفضُلْ أحدُهما عن الآخر ، وكذلك إنْ

---

(١) قوله : « كالخوف . . . الخ » سقط من (ق) .

(٢) سقطت من (ق) .

(٣) ق : « سماعه » بدل « سماع سلامه » .

(٤) انظر كتاب المؤلف (شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال) ، الفصل التاسع منه في أسباب الفضائل ص١١ . وانظر كتابه (الفوائد في اختصار المقاصد) في « فصل في بيان الفضائل » .

(٥) ق : « من أفضل » .

(٦) ق : « قام » .

تساوى المَلَكُ والبَشَر في ذلك لم يُفَضَّلْ أحدُهما على الآخر ، وإنْ فَضُلَ البشرُ على المَلَك بشيء مِن ذلك كان أفضلَ منه[1] ، وإنْ فَضُلَ المَلَكُ على البشرِ بشيء مِن ذلك كان أفضلَ منه .

والفضلُ منحصِرٌ في أوصاف الكمال . والكمالُ إمّا بالمعارف والطّاعات والأحوال ، وإمّا بالأفراح واللذّات ، فإذا أحسن إلى أجسادِ الأنبياء [والأولياء][2] بما لا عينٌ رَأَت ، ولا أذنٌ سمِعَتْ ، ولا خَطَر على قلب بشرٍ، وأحسَنَ إلى أرواحِهم بالمعارفِ الكاملة، والأحوال المُتَوالية ، وأذاقَهم لذَّةَ النَّظَرِ إليه ، وسُرورَ رضاه عنهم ، وكرامةَ تسليمِه عليهم فمِنْ أين للملائكةِ مثلُ هذا ؟

واعلَمْ أنَّ الأجسادَ مساكنُ الأرواح ، وللسَّاكنِ والمَسْكَنِ أحوال :

أحدها : أنْ يكونَ السَّاكنُ أشرفَ مِن المَسكَن .

الثانية : أنْ يكونَ المَسكَنُ أشرفَ مِن السَّاكن .

الثالثة : إنِ استويا في الشَّرَفِ فلا يُفضَّلُ أحدُهما على الآخر ، وإذا كان الشَّرَفُ للساكن فلا مبالاةَ بخساسةِ المسكَن ، وإذا كان الشرفُ[3] للمسكَنِ فلا يتشرَّفُ به الساكن ؛ والأجسادُ مساكنُ الأرواح .

وقد اختلفَ الناسُ في التفضيل الواقع بين البشَر والمَلَك ، فإنْ فاضلَ بينهما مُفضِّل - مِن جهةِ تفاوتِ الأجساد التي هي مساكنُ

---

(١) قوله : « وكذلك إن تساوى الملك والبشر . . . الخ » سقط من (ق) .

(٢) زيادة من (ق) .

(٣) قوله : « للساكن . . . الخ » سقط من (ق) .

الأرواح ـ فلا شكَّ أنَّ أجسادَ[١] الملائكةِ أفضلُ وأشرفُ مِن أجسادِ البشرِ المركّبةِ مِن الأخلاط المُستقذَرة .

وإن فاضَل بين أرواح البشر وأرواحِ الملائكة ـ مع قطعِ النَّظر عن[٢] الأجساد التي هي مساكنُ الأرواح[٣] ـ فأرواحُ الأنبياءِ أفضلُ من أرواحِ الملائكة ، لأنّهم فُضِّلوا عليهم مِن وجوه :

أحدها : الإرسال ، ورُسُلُ الملائكة قليلٌ ، ولأنَّ رسولَ الملائكة يأتي إلى نبيٍّ واحد ، ورسولَ البشرِ[٤] يأتي إلى الأُمم ، وإلى أمةٍ واحدة ، فَيهدِيهمُ الله على يدَيْه ، فيكونُ له أجرُ تبليغِه ، ومِثْلُ أجرِ مَنِ اهتدى على يدَيْه ، وليس مثل هذا للمَلَك .

الوجه الثاني : القيامُ بالجهادِ في سبيلِ الله .

الوجه الثالث : الصَّبر على مصائبِ الدنيا ومحنتِها : ﴿ والله يُحِبُّ الصَّابرين ﴾ [آل عمران : ١٤٦] .

الوجه الرابع : الرِّضا بمُرّ القضاءِ وحُلْوه .

الوجه الخامس : نفعُ العباد بالأمر بالمعروف والنهي عنِ المنكر ، ودفعُ المكاره ، وجلبُ المنافع ، وليس للملائكة شيءٌ مِن هذا .

الوجه السادس : ما أعدَّ الله في الآخِرةِ لعبادِه الصَّالحين ، ممّا

---

(١) سقطت من (ق) .
(٢) ق : « إلى » .
(٣) قوله : « التي هي ... الخ » سقط من (ق) .
(٤) ق : « الأمم » .

لا عينٌ رأت ، ولا أذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خطَر على قلبِ بشر ، ولم يَثبتْ للملائكة شيء مثل هذا .

الوجه السابع : ما أعدّ الله في الآخرةِ لهم مِن النَّعيمِ الرُّوحاني ، كالأنس والرِّضا ، والنَّظَر إلى وجهِهِ الكريم ، ولم يَثْبُتْ مثلُ هذا للملائكة .

فإن قيل : الملائكةُ يسبِّحون الليلَ والنَّهار لا يفترون ، والأنبياءُ ينامون ويفترون ؟

قلتُ : إذا فَتَر الأنبياءُ عنِ التسبيح ، فقد يأتون في حالِ فتورِهم مِن الثَّناء على الرّبّ ، ومِن الطّاعات والعبادات ممّا هو أفضلُ مِن التسبيح ؛ والنَّومُ مختصٌّ بأجسادِهم ، وقلوبُهم متيقِّظة غيرُ نائمة ، وسَيُسَاوونهم في الآخِرة في إلهامِ التسبيح كما يلهمون النفس .

الوجه الثامن : وهو مختصٌّ بآدمَ عليه الصَّلاة والسَّلام ، أنّ الله عَرَّفه مِن أسماءِ كلِّ شيءٍ ، ومنافعِه ما لا يعرفون .

الوجه التاسع : وهو أيضاً مختصٌّ به أنَّ الله أمَر الملائكةَ بالسُّجودِ لآدم ، ولا شكّ أنَّ المسجودَ[1] له أفضلُ [وأشرف][2]مِن الساجدين .

وعلى الجملةِ فما يفضُلُ الملائكةُ على الأنبياء إلا مَن بنى[3]التفضيلَ على خَيالات توهَّمها ، وأوهامٍ فاسدةٍ اعتمدَها .

---

(١) تحرّفت في (ق) إلى : « السجود » .

(٢) زيادة من (ق) .

(٣) ق : « هجام يبني » بدل « من بنى » .

وكم[١] يتقرّرُ في الخَيالات والتوهُّماتِ من أمورٍ يعلم الله خلافَها !

بل قد يرى الإنسانُ اثنَيْن ، فيظُنّ [أنَّ][٢] أحدَهما أفضلُ مِن الآخَر ، لما يَراه مِن طاعته الظاهرة ، والآخَرُ أفضلُ منه بدرجاتٍ كثيرة ، لما اشتملَ عليه من المعارف والأحوال ، والقليلِ مِن الأعمال ، ألا عرف خيرَ القليلِ مِن الكثيرِ مِن أعمال العارف !

وأين الثَّناءُ مِن المستحضِرين لأوصافِ الجَلال ، ونُعوتِ الكمال ، مِن ثناء المسبِّحين بألسنتِهم ، الغافِلين بقلوبِهم .

ليس التَّكَحُّلُ في العينَيْنِ كالكَحَل

ليس استجلابُ الأحوالِ باستذكارِ المعارف ، كَحُضورِ[٣] المعارف بغير سعي ولا اكتساب .

فإن قيل : سَلَّمنا أنَّ الأنبياءَ فضلُوا الملائكةَ بما ذكرتم ، وأنَّ أجسادَ الملائكة فضلَتْ أجسادَ الأنبياء بما ذَكرتُموه ، ومعظَمُ الفضائلِ إنّما هو بشرفِ المعارف والأحوال ، فَلِمَ قلتم : إنَّ الأنبياءَ أفضلُ مِن الملائكة في ذلك ؟

قلنا : أنتم مطالَبُون بمثلِ هذا ، ثم لا يَخلُو ما ذكرتموه مِن أحوال :

أحدها : أنْ يستويَ المَلَكُ والنبيُّ في المعارفِ والأحوال ، فَتَفضَّل الأنبياءُ على الملائكة بما ذكرناه مِن نعيمِ الجِنان ، ورِضا الدَّيّان ، والنَّظرِ

(١) ق : « لم » .
(٢) زيادة من (ق) .
(٣) ق : « لم تحضره » .

إلى الرَحمن .

الثانية : أنْ تكونَ الأنبياءُ أفضلَ مِن الملائكةِ بالمعارفِ والأحوال ، مع ما انضمَّ إليه مِن الأعمالِ ونعيمِ الجِنان ، ورِضا الدَّيَّان ، والنظرِ إلى الرحمن ، فتكون الأنبياءُ أفضلَ من الملائكة بثلاثةِ أسباب .

الثالثة : أنْ يكونَ المَلَكُ أفضلَ بالمعارفِ والأحوالِ مِن النبيِّ ، فيكون النبيُّ أفضلَ مِن المَلَك بما ذكَرناه مِن العباداتِ المختصَّة به وبنعيم[١] الجِنَان ، ورِضا الدَّيَّان ، والنَّظر إلى الرَّحمن[٢] ، ولا عبرةَ بفضلِ أجسادِهم على أجسادِ الأنبياء ، لأنَّ الأجسادَ مساكن ، ولا شرَفَ بالمساكن ، وإنَّما الشَّرَفُ بالأوصافِ القائمةِ بالسّاكن .

والاعتبارُ إنَّما هو بالسَّاكنين[٣] دون المساكن ، فإنَّ الأنبياءَ قد سكنوا في بطونِ أُمّهاتِهم مع القطعِ بأنَّهم أفضلُ مِن أُمَّهاتِهم[٤] .

نَفْسُ عِصامٍ سَوَّدَتْ عِصاما[٥]

---

(١) تصحفّت في المطبوعة إلى : « تنعيم » .
(٢) قوله : « فإن قيل : سلَّمنا أن الأنبياء . . . الخ » سقط من (ق) .
(٣) تحرّفت في المطبوعة إلى : « السكانين » .
(٤) انظر رسالة المؤلف رحمه الله : (بداية السُّول في تفضيل الرسُول صلَّى الله عليه وسلَّم تسليماً) ، وقد صدرت ضمن هذه السلسلة بتحقيقنا ، والحمد لله .
(٥) (لسان العرب) : (عصم) ، وفيه :

نفسُ عِصام سَوَّدَتْ عِصَاما
وصيَّرَتْه مَلِكاً هماما
وعَلَّمَتْهُ الكَرَّ والإقداما

فَرُوحُ المسيحِ أفضلُ مِن جسدِ مريم ، وكذلك رُوحُ إبراهيم عليه السلام أفضلُ مِن جسدِ أُمِّه ، وكذلك روحُ الرَّسولِ عليه السَّلام أفضلُ مِن جسدِ أُمه[١] .

وأمّا مَن كَفر مِن أولادِ المؤمنات فهم شرُّ البَليّة ، ومساكنُهم خيرٌ منهم ، فإذا حملَتْ مؤمنةٌ بكافرٍ كان جسدُها خيراً من رُوحِه ، إذ قام بروحِه أخسُّ[٢] الصِّفات ، وهو الكفرُ بربِّ الأرضين والسَّماوات .

فإن قيل : أين محلُّ الرُّوحِ مِن الأجساد ؟

قلنا : في كلِّ جسدٍ رُوحان :

أحدهما : « روح اليقظة » : وهي الرُّوحُ التي أجرى الله العادةَ أنّها إذا كانت في الجسدِ كان الإنسانُ مستيقظاً ، فإذا[٣] خرَجَتْ مِن الجسدِ نام الإنسان ، ورأتْ تلك الروحُ المناماتِ إذا فارقَتِ الجسد ؛ فإن[٤] رأتها في السَّماوات صحَّتِ الرُّؤيا ، إذ لا سبيلَ للشياطين إلى السَّماوات ، وإنْ رأَتْها دون السَّماء ، كانت مِن إلقاءِ الشَّياطين وتجريهم[٥] ، فإن[٦] رجعَتْ هذه الرُّوحُ إلى الجسدِ[٧] استيقظَ الإنسانُ كما كان .

---

(١) قوله : « وكذلك روح الرسول . . . الخ » سقط من (ق) .
(٢) تحرّفت في المطبوعة إلى : « أخبث » .
(٣) تحرّفت في المطبوعة إلى : « فإن » .
(٤) تحرّفت في المطبوعة إلى : « فإذا » .
(٥) كذا في الأصل ، وفي (قواعد الأحكام) : « تحريفهم » .
(٦) ق : « فإذا » .
(٧) ق : « الإنسان » .

الروح الثانية : « روح الحياة » : وهي الرُّوحُ التي أجرى الله العادةَ أنّها إذا كانت في الجسد كان حيّاً ، فإذا فارَقَتْه مات الجسد ، فإن رجعَتْ إليه حَيِيَ الجسد[١] .

وهاتان الرُّوحانِ في باطنِ الإنسان ، لا يُعرفُ أين[٢] مقرهما إلاّ مَن أطلَعه الله على ذلك ، فهما كجَنِينَيْن في بطنِ امرأةٍ واحدة .

وقد يكونُ في باطنِ الإنسانِ **رُوحٌ ثالثة** : وهي « رُوحُ الشيطان » ، ومقرُّها الصّدر ، بدليلِ قوله : ﴿ الذي يُوَسْوِسُ في صُدُورِ النَّاس ﴾ [الناس : ٥] .

وجاء في الحديث الصّحيح : « إنَّ المتثائبَ إذَا قَالَ : هَاه هَاه ، ضَحِكَ الشَّيْطَانُ في جَوْفِهِ »[٣] ، وجاء في الحديث : « إنَّ لِلْمَلَكِ لَمَّةً ، وإنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً »[٤] .

وقال بعضُ المتكلِّمين : الذي يظهرُ أنَّ الروحَ بقربِ القلب ولا يبعدُ عندي أن تكونَ الرُّوحُ في القلب ، ويجوزُ أن يحضرَ المَلَكُ في

(١) سقطت من : (ق) .
(٢) ق : « باطن » .
(٣) أخرجه بنحوه أحمد في (المسند) ٢/٢٤٢ ، والبخاري (٦٢٢٣) ، (٦٢٢٦) ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٤) « لَمّة » : معناه النُّزولُ والقُربُ والإصابة ، والمرادُ بها ما يقعُ في القلب بواسطة الشيطان أو المَلَك ، ولَمّة الشيطان تسمّى وسوسة ، ولَمّة المَلَك تسمّى إلهاماً ؛ قاله المباركفوري في « تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي » ٨/٢٦٥ .
والحديث أخرجه الترمذي (٢٩٩١) في تفسير سورة البقرة . وقال : حديث حسن عريب ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

باطنِ الإنسان حيث يحلُّ[١] الرُّوحان ، ويحضرُ الشَّيطان ، ويجوزُ في كلّ[٢] واحدةٍ من هذه الأرواحِ أنْ يكون جوهراً فرداً ، يقومُ به ما يَلِيقُ به مِن الصِّفات الخَسِيسة والنَّفِيسة ، ويجوزُ أنْ تكونَ كلُّ واحدة منهنَّ جسماً حيّاً سميعاً بَصيراً عليماً قادراً مُريداً مُتكلِّماً ، فيكون حَيَواناً كاملاً في داخلِ حَيَوان ناقصٍ حَيّاً في بطنِ حيّ ، سميعاً في بطن سميعٍ ، بَصِيراً في بطنِ بصير ، عالِماً في بطن عالم ، قَدِيراً في بطنِ قادر ، مُرِيداً في بطنِ مُرِيد ، متكلِّماً في بطنِ متكلِّم .

وقد أجرى الله العادةَ بأنَّ الجسدَ إذا أبصرَ شيئاً أبصرَهُ رُوحُه ، وإذا سمِعَ شيئاً سمعه رُوحُه ، وإذا أدرك شيئاً أدركه روحُه[٣] .

ويجوزُ أن تكونَ الأرواحُ كلُّها نورانيّةً لطيفة شفَّافة .

ويجوزُ أن يختصَّ ذلك بأرواحِ المؤمنين ، والملائكةُ دون أرواحِ الجِنّ والشَّياطين[٤] .

ويدلُّ على أنَّ الأرواحَ في الأجسادِ قولُه تعالى : ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴾ [الواقعة ٨٣ ، ٨٤] .

ويدلُّ على وجودِ رُوحِ الحياة قولُه تعالى : ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [السَّجدة : ١١] وقولُه عليه السَّلام : « إنَّ الروحَ

---

(١) الأصل : « يملّ » ، والمثبت من (ق) .
(٢) قوله : « في كلّ » سقط من المطبوعة .
(٣) قوله : « حيّاً في بطن حيّ ... الخ » سقط من (ق) .
(٤) وقع في (ق) : اضطراب في تقديم الفقرات وتأخيرها .

إذَا خَرَجَتْ يَتْبَعُها البَصَرُ »[1] ، وقولُه تعالى : ﴿ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الواقعة : ٨٧] .

وأجمع المفسِّرون على أنَّ المرادَ بالمبالغة[2] الحُلقوم التي ترجعُ إلى الجسد رُوحَ الإنسان .

وكذلك قولُه : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي ﴾ [الحجر : ٢٩] ، وقولُه : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُوحِنَا ﴾ [التحريم : ١٢] ، تقديره : فَنَفَخْنا في جثَّتِها مِن رُوحِنا .

ويدلُّ على وجودِ رُوحِ الحياة واليقظة قولُه تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزُّمر : ٤٢] ، تقديره : حين موتِ أجسادها ، ﴿ والتي لم تَمُتْ في منامِها ﴾ ، تقديره : ويتوفى الأنفسَ التي لم تَمُتْ أجسادُها في نومها ، ﴿ فَيُمْسِكُ ﴾ الأنفسَ ﴿ التي قضى عليها الموتَ ﴾ عنده ، ولا يُرسلُها إلى أجسادِها ، ﴿ ويُرسِلُ ﴾ الأنفسَ ﴿ الأُخرى ﴾ ، وهي أنفسُ اليقظة ، إلى أجسادها ﴿ إلى ﴾ انقضاء ﴿ أجلٍ مسمًّى ﴾ وهو أجلُ الموت ، فحينئذٍ تُقبضُ أرواحُ الحياة وأرواحُ اليقظةِ جميعاً من الأجساد ، ولا تموتُ أرواحُ الحياة ، بل تُرفعُ إلى السَّماءِ حيَّةً فتطردُ أرواحَ الكافرين ، ولا تُفتحُ لها أبوابُ السماء وتُفتحُ أبوابُ السَّماواتِ لأرواحِ المؤمنين إلى أنْ تُعرَضَ على ربِّ العالمين .

---

(١) أخرجه أحمد في (المسند) ٦/٢٩٧ ، ومسلم (٩٢٠) في الجنائز : باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضر ، عن أمّ سَلَمة رضي الله عنها .

(٢) أي البلوغ ، كما في هامش الأصل ، وقد أُدرجت في المطبوعة داخل المتن هنا .

فيا لها مِن عرضة ما أشرفَها !

وتكونُ الأرواحُ في القبورِ مجرَّدةً عن الأجساد ، مُنعَّمةً بالثّواب ، أو معذَّبةً بالعقاب ، إلى أنْ يُنفخَ في الصُّورِ النفخةُ الأُولى فلا يجدُ المشركون مسَّ العذاب لأنّهم راقدون إلى أن تبعثهم نفخةُ الصُّور[١] ، فيقولوا : ﴿ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَرقَدِنَا ﴾ [يس : ٥٢] .

ثم تردُّ الرُّوحان إلى الأجسادِ في القبور لمساءلةِ منكر ونكير ، فإذا دنا البعثُ والنُّشور ، تُوفِّيَتْ أرواحُ اليقظةِ فنامُوا مقدارَ أربعين عاماً فإذا نُفِخ في الصُّور عادت أرواحُ اليقظةِ إلى الأجسادِ فقال الكُفّارُ حينئذ : ﴿ يا وَيْلَنا مَنْ بَعَثنا مِن مَرقدِنا ﴾ أي مَنْ أيقظَنا مِن رُقادِنا فقال لهم الملائكةُ أو المؤمنون : هذا البعثُ الذي وَعَدَكُموه الرَّحمٰن وصَدَق المرسَلُون في إخبارِهم عن البعث والنُّشُور[٢] .

وقد اختلَفَ العلماءُ في مقرِّ الأرواحِ في البرزخ ، ما عدا أرواح الشُّهداء ، فإنَّ الله تعالى أسكنَها في أجوافِ طيرٍ خُضرٍ تأكلُ تلك الطُّيورُ مِن ثمارِ الجَنة وتشربُ مِن أنهارِها ، وتأوي إلى قناديلَ معلَّقةٍ بالعرش[٣] .

(١) قوله : « فلا يجد المشركون . . . الخ » سقط من المطبوعة .

(٢) انظر للاستزادة كتاب العلامة ابن قيِّم الجَوْزيّة (الرُّوح) ، ولا سيّما المسألة الخامسة عشرة ، وهي أين مستقرّ الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة ؟ هل هي في السّماء أم في الأرض ؟ وهل هي في الجَنة أم لا ؟ وهل تودع في أجسادٍ غيرِ أجسادها التي كانت فيها فتنعم وتعذّب فيها ، أم تكون مجرّدة ؟

(٣) ثبت ذلك عند مسلم في (صحيحه) (١٨٨٧) في الإمارة : باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة ، عن ابن مسعود رضي الله عنه .

فقالت طائفة : الأرواحُ بأفنيةِ[١] القُبور ولذلك سلَّم رسولُ الله ﷺ عليهم ، وأمر بالتسليم عليهم ، وقال : « سلامٌ عَلَى أهْلِ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُسْلِمينَ »[٢] .

وأهلُ الدّار في عُرفِ النّاس : مَن سكَن الدّارَ أو كان بِفَناءِ الدّار ، وقد أمرَ بالاستعاذةِ مِن عذابِ القبرِ ومرَّ بقبرَيْن فقال : « إنَّهما لَيُعَذَّبَانِ وما يُعَذَّبانِ في كَبيرٍ »[٣] ، وهذا يدلُّ على أنَّ الأرواحَ في القُبورِ دون أفنِيَتِها ، وهو المختار .

لذلك[٤] قال عليه السَّلامُ في المؤمن : « ويُفْسَحُ لَهُ في قَبْرِهِ ويُمْلأ عَلَيْهِ خَضِراً إلى يومِ يُبْعَثُونَ »[٥] .

---

(١) ق : « باقية في » ، وهو تصحيف .

(٢) أخرجه أحمد في (المسند) ٦/٢٢١ ، ومسلم (٩٧٤) في الجنائز : باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها .
ووقع في حاشية الأصل هنا : « ويسلِّم على القبور ، ولا ينظر خلوّ الأجساد من الأرواح ، وبُعدها عن قبورها ، ولو كان كالعقل مع الروح ، وليسوا كالنائم والمغمى عليه والمجنون ، فإنّه لا يُسلّم عليهم . وقد قال ﷺ : « مَن صلّى عليّ عند قبري سمعتُه ، ومَن صلّى عَليّ نائياً بلّغتُه » . ولا شكّ أنّ روحَه ﷺ في أعلى علّيّين مع أرواح الأنبياء حيث الرَّفيقُ الأعلى » .

(٣) أخرجه أحمد في (المسند) ١/٢٢٥ ، والبخاري (١٣٧٨) في الجنائز : باب عذاب القبر من الغيبة والبول ، ومسلم (٢٩٢) في الإيمان : باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه عن ابن عباس رضي الله عنهما . وأخرجه أيضاً أحمد في (المسند) ٥/٣٥ عن أبي بكرة رضي الله عنه .

(٤) المطبوعة : « كذلك » .

(٥) أخرجه أحمد في (المسند) ٣/١٢٦ ، والبخاري (١٣٧٤) في الجنائز : باب ما جاء =

وقد قيل : إن الأنبياءَ تُرفعُ أجسادُهم ، ولم يَثبُتْ ذلك . وزعَمتْ طائفةٌ أنَّ أرواحَ الكفّار بِبَرَهُوت بئرٍ في اليمن[١] . وظاهرُ السُّنّة يَرُدُّ عليهم فإنّه عليه السلام أمر بالتعوّذ من عذابِ القبور ، وقال : « لولا أن لا تدافنوا لَدَعَوْتُ الله أن يُسمعَكم من عذابِ الموتى في قبورهم »[٢] ، وأجسادُ المؤمنين على هيئة جسد آدم : ستون ذراعاً في السماء ، فما الديارُ الديارُ ولا الخيامُ الخيام ، وعلى الجملةِ فيا له من نبأ عظيم نحن عنه مُعرضِون . وأسعدُ الناس مَن آثرَ مصالحَ آخرتِه على مصالح دنياه ، فإنّها خيرٌ وأبقى ، وآثَرَ دفعَ مفاسد آخرتِه على دفع مفاسد دنياه لأنّها شرٌّ وأبقى ، ولا نِسبةَ لمفاسد الآخرة ومصالِحها إلى مفاسد الدنيا ومصالِحها ، فمن آثرَ الأُولَى على الآخِرة ، في جلبِ المصالحِ ودرءِ المفاسد ، فإنّه خاسرٌ مغبون ، فإنَّ مصالحَ الآخِرةِ محضةٌ لا يَشُوبُها مفسدة ، ومفاسدُها محضةٌ لا يشُوبُها مصلحة . وأمّا[٣] الدنيا فقَلَّ أن تتجرَّدَ مصالحُها عن مفاسدِها وهي دارُ الأحزان ، والهمومِ والغُموم ، وما بلَغنا أنَّ أحداً مِن العوالمِ يشقى في الآخِرة كشقاوةِ عُصاة

= في عذاب القبر ، ومسلم (٢٨٧٠) في الجنة : باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار .

(١) « بَرَهُوت » : وادٍ أو بئر بحضرموت ؛ كما في (القاموس المحيط) . وانظر (مفحمات الأقران في مبهمات القرآن) للسيوطي ص١٩٢ بتحقيقنا .

(٢) أخرجه أحمد في (المسند) ٣/١١٤ ، ١٧٥ ، ومسلم (٢٨٦٨) في الجنة : باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، وإثبات عذاب القبر ، والتعوّذ منه ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) في المطبوعة : « فأما » .

الإنسِ والجنّ ، ولا يسعدُ كسعادةِ مُؤمِني الإنسِ والجنّ ؛ فلمثلِ هذه السَّعادةِ فَلْيعملِ العامِلُون ، وفيها فَلْيتنافسِ المتنافِسُون .

فإن قيل : إذا أتى جبريلُ النبيَّ عليهما الصَّلاةُ والسَّلام في صورةِ دِحْيَة ، فأين تكونُ رُوحُه : في الجسدِ الذي شُبِّه بجسدِ دِحْية ؟ أم في الجسدِ الذي خُلق عليه ست مئة جَناح ؟

فإنْ كانت في الجسدِ الأعظم فما الذي أتى إلى الرسولِ ؟ جبريل لا مِن جهةِ روحهِ ولا مِن جهةِ جسدِهِ ، وإنْ كانت في الجسدِ المشبَّه بجسدِ دِحية فهل يموتُ الجسدُ الذي له ستُّ مئة جناح كما تموتُ الأجسادُ إذا فارَقَتْها الأرواح ؟ أم يبقى حَيّاً خالياً مِن الرُّوحِ المنتقلة إلى الجسدِ المشبّه بجسدِ دِحية ؟

قلت : لا يبعدُ أنْ يكونَ انتقالُها مِن الجسدِ الأوّل غيرَ[1] مُوجبٍ لموتِه ، لأنَّ موتَ الأجسادِ بمفارقةِ الأرواحِ ليس بواجبٍ عقلاً ، وإنّما هُو بعادةٍ مطّردة أجراها الله في أرواحِ بني آدمَ ، فيبقى ذلك الجسدُ حيّاً لا ينقُصُ مِن معارفِه وطاعاتِه شيء ، ويكونُ انتقالُ رُوحِه إلى الجسدِ الثاني كانتقالِ أرواحِ الشُّهَداءِ إلى أجوافِ الطُّيورِ الخضر[2] ، وانتقالُها إليها مُشبَّه بما يقوله أهلُ التناسخ .

فإن قيل : الإنسانُ لا يُثابُ على حُسنِ صُورتِه لأنّها ليست مِن

---

(١) أقحم محقق المطبوعة هنا ، ما أوردَه ناسخ الأصل في الهامش ، ونقلتُه قبل .

(٢) في (ق) هنا : « تاكل الطيور من ثمار الجنّة ، وتشرب من أنهارها ، وتأوي إلى قناديل معلّقة بالعرش » .

كسبه ، ولا مِن حواسِّه ، لأنَّها ليست مِن فعلِه ، ولا على عقلِه ، ولا على جِبِلَّاتِه الكريمةِ الدَّاعيةِ إلى الخُيور ، وإلى اجتناب الشُّرور ، إذ لا ثوابَ إلَّا على فعلٍ مكتسَبٍ ، لقولِه تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الطُّور : ١٦] ، وليست هذه الأوصافُ مِن عملِه ، ولا يتعلَّقُ بها تكليفٌ ، إذ لا قدرةَ له عليها ، ولا سبيلَ له عليها ، فهل يُثابُ الرَّسولُ على النُّبوةِ والإرسال ، أم لا ؟

قلنا : أمّا الإرسالُ ، فهو مِنَ الصِّفات الشريفة التي لا ثوابَ عليها ، وإنّما الثوابُ على أداءِ الرِّسالة التي حمَلَها .

وأمّا النُّبوة فقدِ اختلفَ العلماءُ فيها :

فمَنْ جعَل النبيَّ هو المُنبِىءُ عنِ الله أُثيبَ على إنبائِهِ عنه لأنّه مِن كسبِه .

ومَنْ قالَ مذهبَ الأشعريّ وجعلَ النبيَّ هو الذي نبَّأه الله فلا ثوابَ له على إنباءِ الله إيّاه لتعذرِ اندراجِه في كسبِه ، وكم مِن صفةٍ شريفةٍ لا يُثابُ الإنسانُ عليها ، كالمعارف الإلهاميّة[1] أي : لا كسبَ له فيها ، وكالنَّظر إلى وجهِ الله الكريم الذي هو أشرفُ الصِّفات ، ولا ثوابَ عليه .

فإن قيل : أيُّهما أفضل : النُّبوةُ أمِ الإرسال ؟

---

(١) تحرّفت في المطبوعة إلى : « الإلهية » ، وانظرِ الفصل التاسع في أسباب الفضائل ، من كتاب المؤلف (شجرة المعارف والأحوال) .

قلت : النُّبوة أفضلُ لأنَّ النُّبوّةَ إخبارٌ عمّا يستحقُّه الرّبُّ سبحانه[١] مِن صفاتِ الجلال ، ونُعوتِ الكمال ، وهي متعلِّقةٌ بالله مِن طرفَيْها ، والإرسالُ دونها ، أمرٌ بالإبلاغِ إلى العِبَاد ، فهو متعلِّقٌ بالله مِن أحدِ طرفَيْه ، وبالعبادِ مِن الطرفِ الآخر .

ولا شكَّ أنَّ ما تعلَّقَ بالله مِن طرفَيْه أفضلُ ممّا تعلّق بالله مِن أحدِ طرفَيْه ، والنُّبوة سابقةٌ على الإرسال ، فإنَّ قول الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام : ﴿ إني أنَا الله ربُّ العالمين ﴾ [القصص : ٣٠] مقدَّم على قوله : ﴿ اذْهَبْ إلى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغَى ﴾ [طه : ٢٤] ، فجميع ما تحدَّث به معه قبل قولِه : ﴿ اذْهَبْ إلى فَرْعَوْنَ ﴾ نبوّةٌ ، وما أمَره بعد ذلك مِن التبليغِ فهو إرسال .

والحاصلُ أنَّ النُّبوة راجعةٌ إلى التعريفِ بالإله ، وبما يجب للإله[٢] ، والإرسالُ راجعُ إلى أمرِه الرسولَ بأن يبلّغ[٣] عنه إلى عبادِه أو إلى بعضِ عبادِه ما أوجَبه عليهم مِن معرفتهِ وطاعتهِ واجتنابِ معصيَتِه ، ولذلك[٤] رسول الله ﷺ قال له جبريلُ عليه السلام : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ [العَلَق : ١] إلى قوله : ﴿ إنَّ إلَى رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴾ كان هذا نبوّةً أمرَه بالقراءة ، وعرَّفه بالرُّبوبية ، وبأنّه خَلَق كلَّ شيء ، وبأنّه خلَق الإنسانَ مِن عَلَق ، وبأنّه الأكرمُ الذي علَّم الخَطَّ بالقَلَم ، وعلَّم

(١) قرأها محقق المطبوعة : « الله عز وجل » !.
(٢) ط : « له » .
(٣) كتبها محقق المطبوعة : « بالتبليغ » .
(٤) في المطبوعة : « ولذلك فإن » ، وهو إدراج .

الإنسانَ ما لم يَعْلَم ، وأنّ رجوعَ العبادِ كُلِّهم إلى جزائِه ، فهذا كُلُّه نُبوّة[1] .

وكان ابتداءُ الرّسالةِ حين جاءَه جبريلُ وقال له : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ ﴾ [المدّثّر : ١ ، ٢]، وكذلك موسى عليه السلام عرَّفه الرُّبوبية قوله : ﴿ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ ﴾ [طه : ١٢] ، وأمرَهُ بخلعِ نعلَيْه ليقومَ بالأدبِ بين يدَيْه ، وعرَّفه طهارةَ المكان الذي حَلّ فيه ، وأنّه اختارَه لنبوّتهِ ورسالتهِ ، وأمَره أنْ يَسْتمعَ لما يُوحى إليه ، ثم أَوْحى إليه قوله : ﴿ لَا إِلَه إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه : ١٤] وعَرّفه بأنّ الساعةَ آتيةٌ لِتُجْزَى كلُّ نفسٍ بما تَسْعى ، كما أخبرَ محمداً ﷺ بذلك بقوله : ﴿ إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى ﴾ [العَلَق : ٨] ، وكذلك ما ذكرَ بعده كلّه نبوّة إلى أنْ قال له : ﴿ اِذْهَبْ إِلىٰ فِرْعَونَ إِنَّه طَغَى ﴾ [طه : ٢٤] ، فهذا ابتداءُ رسالتهِ .

٣٠ ـ فائدة

ليس لأحدٍ أنْ يُفضِّلَ أحداً على أحد ، ولا أن يسوِّي أحداً بأحدٍ حتى يقفَ على أوصافِ التفضيل أو التساوي . فمَنْ لا يعرفُ ما اشتمَلَتْه عليه أرواحُ الأنبياء ، وأرواحُ الملائكة ، من المعارفِ والأحوال ، لا يجوزُ له أنْ يتعرَّضَ لشيء مِن التفضيلِ والمساواة إلاّ بِمَدْرك شرعي ، ولا يُقْدِمُ على ذلك إلا هَجومٌ لا يتّقي الله ، ولا يخشى التصمُّخ بها والكذب . وقد جاء في التنزيل ما يدل على تفضيلِ البشر

(١) قوله : « أمره بالقراءة . . . الخ » سقط من (ق) .

على الملائكة بقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البيّنة : ٧] ، « والبريّة » : الخليقة الذين مِن جملتِهمُ الملائكة[1] .

وكذلك ذكَر جماعةً مِن الأنبياء في سورةِ الأنعام فقال فيهم : ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى العَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٦] ، والملائكةُ مِن جملةِ العالَمِين ، لأنّك إن اشتقَّيْتَ العالِمَ من العِلْم ، فالملائكةُ مِن العُلَماء ، وإن أخذتَه مِن العَلامة اندرج فيه الملائكة وكلُّ موجودٍ سوى الله ، لأنّ في كلٍّ منهم علامةً تدلُّ على قدرةِ الصَّانع وإرادتهِ وعلمهِ وحياتهِ وحِكْمتهِ .

٤ ـ فائدة

إذا استوى اثنان في حالٍ مِن الأحوال فهما في الفضل[2] سِيّان ، فإنْ تفاوتا في ذلك بطولِ الزمان وقِصَرِه ، كان مَنْ طالَ زمانُه أفضلَ ممَّن قصُرَ زمانُه عند اتحادِ الحال .

وإنْ تفاوتا في الأحوال : فإنْ كانت إحدى الحالَيْن[3] أشرفَ وأطولَ زماناً ، فلا شَكَّ أنَّ صاحبَها أشرفُ وأفضل .

مثاله : الخائف مع الهائِب ، فإنَّ الهَيْبَةَ أفضلُ من الخوف ، فإذا طال زمانُ الهَيْبةِ وقصُرَ زمانُ الخوفِ فقد فضلَتْه مِن وجهَيْن اثنَيْن ، فإنِ

---

(١) قال المؤلّف رحمه الله تعالى في آخر رسالته (بداية السُّول في تفضيل الرسول صلّى الله عليه وسلّم تسليماً كثيراً) : « ولا يدخل الملائكة في قوله : ﴿ إنّ الذينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالحات ﴾ لأنَّ هذا اللفظَ مختصٌّ بعُرفِ الاستعمال بِمَنْ آمَنَ من البَشَر » .

(٢) ق : « التفضل » .

(٣) ق : « الحالتين » .

استوى الزمانُ كان الهائبُ أفضل ، وكذلك إنْ قصُرَ زمانُ الهيبة ، وطال زمنُ الخوف ، كانت الهيبةُ أفضلَ ؛ لعلُوِّ رتبتِها وشرفِها ، ألا ترى أنَّ وزنَ دينارٍ مِن الجوهرِ أفضلُ مِن الدينارِ[1] ، والدينارُ أفضلُ من الدرهمَيْنْ والعشرة ، لشرفِ وصفهِ على وصفِ الفِضَّة ، والدرهمُ أفضل مِن مئة درهمٍ مِن النُّحاس لشرفِ وصفهِ .

وبهذا الميزان يُعرفُ تفاوتُ الرجال ، فَيُعرفُ الخائفُ بظهورِ آثارِ الخوف عليه ، كما يُعرفُ الهائبُ بظهورِ آثارِ المهابة عليه[2] .

وكذلك القولُ في المحبّة والرِّضا ، والتوكُّل والرَّجاء ، وسائر الأحوال .

فإذا ظهرتْ آثارُ الهَيْبة على إنسان ، وآثارُ الخوفِ أو الرَّجاء على آخَر ، عَلِمنا أنَّ مَن ظَهَرتْ عليه آثارُ الهيبةِ أفضلُ مِن صاحبهِ .

وكذلك إذا ظهرَتْ على أحدِ رجلَيْن آثارُ محبّةِ الإنعامِ والإفضال ، وظهرَتْ على آخرَ آثارُ محبّةِ الجلالِ والجمال ، فصاحبُ المحبّة المبنيَّةِ على معرفةِ الجلال والجَمال[3] أفضلُ مِن صاحبِ محبّةِ الإنعامِ والإفضال ؛ لتعلُّقِ محبّةِ الجلال .والجمال بذاتِ الله وصفاتهِ ، ولِتعلُّق محبّةِ الإنعام

(١) في المطبوعة : « أفضل من الدينار من الفضة » ، وهي إقحام من محقّقها ليست في الأصل .

(٢) انظر الفصل الثامن فيما يتفاضل به العباد ، ص١٠ ، والفصل العاشر في كيفيّة التفضيل ، ص١٣ ، من كتاب المؤلّف (شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال) بتحقيقنا .

(٣) تحرّفت في المطبوعة إلى : « الكمال » .

والإفضال بغيرِ الله ؛ وبمثل هذا الأُسلوبِ تُعرفُ مراتبُ الرِّجال[١] .

وكذلك تُعرفُ مراتبُ الطَّائعين بملابسةِ بعضِهم لأفضلِ الطاعات ، وبملابسةِ الآخَرين لأدنى الطاعات .

وإنِ استووا في الطاعات لم يَجُزِ التفضيلُ[٢] في بابِ الطاعات .

وإنْ كثرتْ طاعاتُ أحدِهم ، وقَلَّت معارفُ الآخَر وأحوالُه ، قُدِّم شرفُ المعارف[٣] والأحوال على شرفِ الأعمالِ والأقوال ، ولهذا جاء في الحديث : « ما سَبَقَكُم أبو بكرٍ بكثرةِ صَومٍ ولا صلاة ولكن بأمرٍ وقَر في صدرِه »[٤] .

---

(١) قال المؤلّف رحمه الله في كتابه (قواعد الأحكام) ص٦٧١ - ٦٧٢ : « المحبّة الناشئة عن معرفة الجمال أفضل من المحبة الناشئة عن معرفة الإنعام والإفضال ، لأنّ محبّةَ الجمال نشأت عن جمال الإله ، ومحبة الإنعام والإفضال نشأت عمّا صدر منه من إنعامه وإفضاله » .

قال بدر الدين الغزي : « وهذا يقتضي أن مقام الجلال أفضل من مقام الجمال ، والذي اختاره شيخنا أنّ مقام الجمال أفضل لأنه مقام النبي ﷺ ليلة المعراج ، ومقام الجلال مقام موسى لما تجلّى ربُّه للجبل ، ومقام نبيّنا أفضل ، والله تعالى أعلم » من (الدرّ الثمين في المناقشة) بين أبي حيّان والسَّمِين » أي الحلبي ، لبدر الدين الحسن بن علي بن أحمد الغزي المتوفى سنة ٧٥٣هـ ، الورقة ٦٣ ب من نسخة الظاهرية رقم ٨٠٩٩ .

وقول المؤلف : « فيعرف الخائف . . . الخ » سقط من « ق » .

(٢) ق : « التفضل » .

(٣) تحرّفت في الأصل إلى : « المعالم » ، والمثبت موافق لـ « ق » .

(٤) قال السخاوي في (المقاصد الحسنة) حديث (٩٧٠) : « ذكره الغزالي ، وقال العراقي : لم أجده مرفوعاً ، وهو عند الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » من قول =

وقال عليه السلام لما استنقص[1] بعضُهم طاعاتِهِ : « إنِّي لَأرجُو أنْ أكونَ أعْلَمَكُمْ باللّهِ ، وَأَشَدَّكُمْ لَهُ خَشْيَةً »[2] . فَفَضَّلَ المعرفةَ وشدّةَ الخشيةِ على كثرةِ الأعمال[3] .

٥ ـ صفةُ أحوالِ الناس في البرزخ على الإجمال

ما من بَرٍّ ولا فاجر ، ومؤمنٍ وكافر ، إلَّا ينظرُ في البرزخِ إلى منزلِه بُكرةً وعَشيَّة ؛ إنْ كان مِن أهلِ النار فمِن أهلِ النار ، وإنْ كان مِن أهلِ الجَنة فمِن أهلِ الجَنة . ثم نَعيمُ البرزخ المخصوصُ به مبنيٌّ على شرفِ الأعمال وكثرتِها ، وعذابُ البرزخِ المخصوصُ به مبنيٌّ على الإساءاتِ وكثرتِها .

والمنازلُ أربع :

إحداها : في بُطونِ الأُمَّهات .

والثانية : في الدنيا .

والثالثة : في البرزخ إلى جَمْعِ الرُّفاتِ وبعثِ الأموات .

والرابعة : في دار القَرارِ ولا غايةَ لآخِرِها . بل أهلُ الجَنة في خُلودٍ

= بكر بن عبد الله المزني . وقال القاري في « الأسرار المرفوعة » ص٤٥٤ : « وهذا من كلام أبي بكر بن عيّاش » .

(١) تحرّفت في (ق) إلى « استعظم » .

(٢) أخرجه البخاري (٦١٠١) في الأدب : باب من لم يواجِهِ الناس بالعتاب ، (٧٣٠١) في الاعتصام : باب ما يكره من التعمّق والتنازع والغلوّ في الدّين والبدع ، ومسلم (٢٣٥٦) في الفضائل : باب علمه صلّى الله عليه وسلّم بالله تعالى وشدة خشيته ، عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) حتى هنا تنتهي (ق) .

في النَّعيم بلا موت ، وأهلُ النارِ في خُلودٍ في الجحيم بلا موت .

٦ ـ صفةُ لذّاتِ الجَنة وأفراحِها على الإجمال

الجَنة مملوءةٌ بالأفراحِ وأسبابها ، واللذّاتِ وأسبابها ؛ خليَّةٌ مِن الغُموم والآلام وأسبابِها . وأفراحُها أفضلُ الأفراح ، ولَذّاتُها أفضلُ اللذّات .

وأفضلُ لَذّةٍ رِضا الرّبّ ، والنّظرُ إليه ، وسماعُ كلامهِ وسلامهِ ، والأنسُ بقربهِ وجوارهِ ؛ فإنّه ينشأُ عنها مِن الأفراحِ ما لا عَينٌ رأَتْ ، ولا أذُنٌ سَمِعَت ، ولا خطَر على قلبِ بَشر .

ولذّاتُ المعارفِ في الآخِرة أفضلُ مِن لذّاتها في الدنيا .

وكذلك الأحوالُ الناشئةُ عن المعارفِ في الآخِرة أفضلُ مِن نظيرِها في الدنيا ، لأنّها أكملُ وأفضلُ ، وخيرٌ وأبقى .

ولا ينقطعُ مِن الأحوال في الآخِرة إلّا الخوفُ لأنّه مُؤلم . وما مَنَّ الله بالخوفِ في الدنيا على عبادهِ إلّا لكونه زاجِراً لهم عن معصيتهِ ومخالفتهِ ، وكذلك لِيَسقُطَ الأمرُ به عند حُضورِ الموت ، وكذلك لَذّاتُ مآكِلها ومشارِبها وملابِسها ومناكِحها ومساكِنها ومراكِبها أفضلُ مِن لَذّاتِ نظائِرها في الدنيا ، وهي دون لَذّات المعارف .

٧ ـ صفةُ غُمومِ النارِ وآلامِها على الإجمال

النارُ مشحونةٌ بالغُمومِ وأسبابِها ، والآلامِ وأسبابِها ، وأشدُّها ألمُ السَّخَط والغضبِ والطَّرد والإبعاد ، وسماع قوله : ﴿ اخْسَؤُوا فيهَا

وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون : ١٠٨] .

فمِنْ آلامِها ألَمُ أكلِ الضَّرِيع والزَّقُّوم ، وشربِ الصَّديد والحَميم والغساق ، والسَّلاسل والأغلال ، والذّلّ والهوان ، والخِزي والافتضاح ، وهي خاليةٌ مِن جميع اللذاتِ والأفراح .

٨ ـ صفةُ ما في الدنيا مِن اللذّاتِ والأفراح والغُموم والآلام على الإجمال

الدُّنيا مشحونةٌ بالمصالحِ وأسبابِها ، والمفاسدِ وأسبابِها ، وشَرُّها أكثرُ مِن خيرِها ، ومضارُّها أكثرُ مِن منافِعها ، وقبائحُها أكثرُ مِن محاسِنها . ومعظمُ مقاصدِ الخَلْق في جلبِ اللذاتِ والأفراح ، وانتفاءِ الغُمومِ والآلام . فأفضلُهم مَن كانت مقاصدُه في أفراحِ المعارفِ والأحوال ولذّاتِها ، ويليه مَن كانت أقلُّ مقاصدِه في لَذَّاتِ الدنيا وأفراحِها ، ومعظمُ مقاصدِ لَذّاتِ الآخِرة وأفراحِها ، ويليه مَنْ تَوسَّط في مقصودَيّ الدنيا والآخِرة ، ويليه مَن غلبَ عليه قصدُ لَذّاتِ الدنيا وأفراحِها ، وأشقى منه مَن لا يخطرُ له لَذّاتُ الآخِرة وأفراحُها ببالٍ حتى يسعى لها .

والجَنّةُ والنار دارَا بقاءٍ وقَرار ، والدنيا دارُ زوالٍ وانتقال ، فَوَيْلٌ لمن باع النفيسَ الباقي بالخسيس الفاني ، فيا لَها مِن صفقةٍ خاسِرة ، وتجارةٍ بائرة : ﴿ وَمن يُهِنِ الله فما له مِنْ مُكرِمٍ ﴾ [الحج : ١٨] ، إذ لا مُشقي لِمَنْ أسعدَه ، ولا مُسعِدَ لِـمَنْ أشقاه ، ولا مُقصيَ لِمَنْ قَرّبه ولا مُقرِّبَ لِمَنْ أقصاه .

٩ ـ فصل في السَّعادات

سعادةُ الدنيا والآخِرة بالطاعات ، وشقاوتُهما بالمعاصي والمخالفات ، فَمِن الناسِ السعيدُ والأسعد ، والشَّقِيُّ والأشقى ، وهم أربعة :

سعيدٌ في الدنيا والآخِرة ، وشقيٌ في الدنيا والآخِرة ، وشقيٌّ في الآخرة سعيدٌ في الدنيا ، وشقيٌ في الدنيا سعيدٌ في الآخرة .

والسَّعادة كُلُّها بالمعارفِ والأحوال ، والتمسُّكِ بكتابِ الله وسُنّةِ رسولِه في كلِّ حال .

١٠ ـ فصل في أسباب الفضائل[1]

الفضائلُ بالإسلام ، والإيمان ، والتَّقوى ، والمعارف ، والأحوال ، والأُبُـوّة ، والحـرِّيـة ، والأمـانـة ، والـزُّوجِيّـة[2] ، والأخـلاق السَّنِيّـة ، والرِّسالة ، والنُّبُوّة ، وحُسن الآداب ، والتلبّس بأخلاقِ القرآنِ ؛ كالْعفو ، والغَفْر ، والصَّفح ، والصّبر ، والحِلْم ، والكظم .

ولا فضلَ في الدنيا ومتاعِها ، وزهرتِها وجَاهِها ، وكثرةِ أموالِها وأحشادِها لأنّها فِتَنٌ وأسبابُ فِتَن .

١١ ـ فصل

تفضَّل الله بنعيمِ الجِنان على غيرِ عملٍ مكتَسَب ، كما تفضَّل على

---

(١) للمؤلّف فصل بالتسمية ذاتها في كتابه (شجرة المعارف والأحوال) ص١١ .

(٢) كالتعزّز بجـوار الله وقُربـه وكلامـه وسلامـه وتبشيره بـالرّحمـة والرِّضـوان ، كما يقـول المؤلف في كتابه (شجرة المعارف والأحوال) ص١٣ .

الحُور العِين المخلوقات في الجنان ، وكما يتفضَّلُ على الذين ينشئُهم في الجَنّة ، ويسكنُهم في قصورِها مِن غيرِ إثابة على عملٍ سابق ، وكما يتفضَّلُ بثوابِ الشهادة على المبطونِ والغريق والحريق والمرأةِ تموت بجُمْع[1] ، ولا كسبَ لهم في ذلك ، وكما يتفضَّلُ في الدنيا على بعضِ عبادهِ بكمال العُقول ، وبحُسنِ الصُّورِ والأخلاق ، والسَّجايا والقُوى والحَوَاس .

وقد يعذِّبُ أقواماً في الدنيا والآخرة مِن غيرِ جُرمٍ سابقٍ ، كقبح الصُّورة وسَخافةِ العُقول ، وضَعْفِ القُوى والحَواس ، وملازمةِ الأوصابِ والأسقام ، والغُموم والآلام . كما ينشىء في النار قوماً يعذِّبُها بها مِن غيرِ كفرٍ متقدِّم ، ولا عِصيانٍ سابق ، ألا لَهُ الخَلْقُ والأمرُ ، لا يُسألُ عمّا يفعلُ في خَلْقِه مِن إشقاءٍ وإسعاد ، وتقريبٍ وإبعاد ، وهم يُسألون عمّا كانوا يفعلون . فسبحان مَن لا مُتَّكَلَ[2] إلاّ عليه ، ولا منجا منه إلاّ إليه .

١٢ ـ فصل في الإحسانِ القاصرِ على فاعِليه[3]

كلُّ مَن أطاع الله بفعلٍ واجبٍ أو مندوبٍ ، أو تَرْكِ محرَّمٍ أو مكروه ، فهو محسِنٌ على نفسِه بتعريضِها للثواب ، قائمٌ بحقِّها وبحقّ

---

(١) وهي المرأة تموت حُبلى .

(٢) تحرّفت في المطبوعة إلى : « متصل » .

(٣) انظر (شجرة المعارف والأحوال) للمؤلّف الفصل (٣٤٥) في بيان الإحسان القاصر والمتعدي ، والفصل (٨٣٦) فيما يُقَدَّم من الإحسان القاصر والمتعدّي وما يُؤَخَّر من الإساءة القاصرة والمتعدِّية .

ربِّه في طاعتِه . ويختلف أجرُه باختلافِ مصالحِ ما قام به من ذلك المأمور ، بدليلِ قوله : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُم أَحْسَنتُمْ لأَنْفُسِكُمْ ﴾ [الإسراء : ٧] ، وقوله : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ ﴾ [فُصِّلت : ٤٦ ، الجاثية : ١٥] ، وقوله : ﴿ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فلأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴾ [الروم : ٤٤] .

وكذلك يختلفُ أجرُه باختلافِ مفاسدِ ما اجتنَبه من ذلك المنهي .
ومَن أتى مباحاً فهو محسِنٌ إلى نفسهِ ، غيرُ مُطِيعٍ ولا مثاب ، لأنّ المباحَ غيرُ مأمور .

١٣ ـ فصل في الإحسان المتعدي[1]

مَن فعَل واجباً متعدّياً أو مندوباً متعدّياً ، واجتنَب محرَّماً أو مكروهاً متعدِّيَيْن ، فقد قام بحقّ نفسهِ ، وحَقِّ ربِّه ، وحَقِّ مَن تعدَّى إليه ذلك . والكتابُ مشحونٌ في الترغيبِ في هذا النوع .

١٤ ـ فائدة

كلُّ مطيعٍ لله محسنٌ إلى نفسهِ ، فإنْ كان إحسانُه متعدّياً إلى غيرهِ تعدَّد أجرُه بتعدُّد مَن تعلَّقَ به إحسانُه ، وكان أجرُه على ذلك مختلفاً باختلافِ ما نُسب إليه من جلبِ المصالح ودرءِ المفاسد . فإنْ كانَ إماماً فهو محسِنٌ إلى نفسهِ وإلى كلِّ مَن تعلَّق به إحسانُه مِن رعيّته وأعوانهِ

(١) انظر فصلاً بالعنوان نفسِه في كتاب المؤلف (شجرة المعارف والأحوال) ص١٤٠ ، الفصل (٣٤٦) ، والفصل (٣٤٧) في تنويع الإحسان المتعدّي ، والفصل (٨٣٦) المذكور في التعليقة السابقة .

وأنصارِهِ وَوُلاتِهِ وقضاته .

وإن كان حاكِماً فهو محسِنٌ إلى نفسِهِ بطاعةِ ربِّه ، وإلى المدَّعي إنْ كانت له حجةٌ فقد نصَرَه بإيصال حقِّه إليه ، وإلى المدَّعى عليه ظالماً بتخليصِ خصمهِ مِن ظلمهِ ، والمدَّعي مظلوماً . وإن كان الأمرُ بالعكسِ فقد نصَرَ المدَّعى عليه مظلوماً والمدَّعي ظالماً .

وإن كان شاهِداً فهو محسِنٌ إلى نفسِه ، وإلى الخصمَينْ بالتحمّلِ والأداء لأنّه متسبِّبٌ إلى نصرِ الظالم والمظلوم .

وإن كان مفتياً فهو محسنٌ إلى نفسه ، وإلى المستفتي والمستفتى عليه .

١٥ ـ فائدة

لقد فتح اللّهُ سبحانه وتعالى على عبادِه أبواباً كثيرة إلى الجِنان حتى إنّه لَيُثيبُهم بِفِرْسِن[1] شاة ، وبشقّ تمرة ، وكلمةٍ طيّبة ، وبمجردِ المقصود والنّيات ، فمَنْ أصبَحَ عازِماً على الإحسانِ على حسَبِ الإمكان ، فإنه يؤجَرُ على قُصودِه ، وإنْ لم يقعْ مقصودُه . وتختلفُ أجورُ قصودهِ باختلافِ رتبِ مقصودهِ ؛ فمَنْ تصدَّى للحُكمِ بالعدل ، والقضايا بالقِسط ، أُثِيبَ ثوابَينْ : أحدهما على قصدهِ ، والثاني : على تصدّيه ، وإنْ لم يتحاكَمْ إليه أحد . وإنْ تحاكم إليه خُصومٌ أُثيبَ على كلّ حكومةٍ بعشرِ حَسَنات ، تختلفُ رتبُها باختلافِ رتبِ المحكومِ به ، مِن جلبِ

---

(١) « الفِرْسِن » : عظمٌ قليلُ اللحم ، وهو للبعير موضعُ الحافر للفرس . وانظر الفصل (٣٢٢) في احتقار القليل من الخير من كتاب المؤلّف (شجرة المعارف والأحوال) ص١٢٨ .

المصالِح ودرءِ المفاسد .

ومَن تصدَّى للفُتيا أُثيبَ ثوابَيْنْ : أحدهما : على قصدِه ، والثاني : على تصدّيه ، وإن لم يُسْتَفْتَ في شيءٍ ، وإنِ استفتي فأُجيبَ ، أُثيبَ على كلّ جواب بعشرِ حسنات ، تختلفُ رتبُها باختلافِ رتبِ مصالحِ تلك الأجوبة .

وكذلك تصدِّي الإمامِ الأعظمِ للقيامِ بمصالحِ المسلمين ، وكذلك التصدّي لجلبِ كلِّ مصلحةٍ مأمورٍ بها ، ودرءِ كلِّ مفسدةٍ منهيٍّ عنها .

وإنْ كان الأمرُ كذلك فلن يُهلَكَ عند الله إلاّ هالك .

فإن قيل : لو رجحَتْ إحدى المصلحتَيْنْ على الأخرى بمثقالِ ذرّة ، وتعذّر الجمعُ في الجلبِ والدفعِ فهل يقدَّمُ الأصلحُ ويُدرءُ الأفسد ؟

قلنا : نعم ؛ لأنَّ : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذرّةٍ خيراً يَرَه * ومَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرّةٍ شَرّاً يَرَه ﴾ .

١٦ ـ فصل في الإساءةِ القاصِرة على المُسيء[1]

مَنِ ارتكب مُحرَّماً أو مكروهاً ، أو منَع واجباً فهو مسيءٌ إلى نفسهِ ، مضيِّعٌ لحقِّ ربِّه ، وحقِّ نفسهِ ، بدليلِ قولِه : ﴿ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت : ٤٦ ، الجاثية : ١٥] وقوله : ﴿ وَإِنْ أَسَأْتُم فَلَهَا ﴾ [الإسراء : ٧] وقوله : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ [النساء : ١١١] .

---

(١) انظر الفصل (٦٥٠) في الإساءة القاصرة في كتاب المؤلّف « شجرة المعارف والأحوال » ص٢٩٧ ـ ٣٠٣ ، حيث ذكر أربعة وعشرين نوعاً منها .

١٧ ـ فصل في الإساءة المتعدِّية

مَن عصى الله معصيةً تتعلَّقُ بغيره فهو مسيءٌ إلى نفسهِ ، ظالمٌ لها ، مضيِّعٌ لحقِّها ، وحقِّ ربِّه مِن طاعتهِ ، وحقّ مَن تعلَّقَتْ به معصيتُه مِن الناسِ والبهائمِ والحيوانِ المحتَرم .

فوائد متفرقة

١٨ ـ فائدة

إن قيل : لو قتل عدوٌّ الإنسانَ ظلماً وتعدِّياً فَسَرَّهُ قَتْلُه ، وفرِح به هل يكونُ ذلك سروراً بمعصيةِ الله أم لا ؟

قلت : إنْ فرِح بكونِه عصىَ الله فيه فبئس الفرحُ فرحُه ، وإنْ فرِح بكونِه خَلَص من شرِّه ، وخَلَص الناسُ مِن ظلمهِ وغشمهِ ، ولم يفرحْ بمعصيةِ الله بقتلِهِ ، فلا بأسَ بذلكِ ، لاختلافِ سببَيّ الفرح .

فإن قال : لا أدري بأيّ الأمرَيْن كان فرحي ؟

قلنا : لا إثمَ عليكَ ، لأنَّ الظاهرَ مِن حالِ الإنسان أنّه يفرحُ بمصَابِ عدوِّهِ لأجلِ الاستراحةِ منه والشَّماتةِ به لا لأجلِ المعصية ، ولذلك يتحقّقُ فرحُه وإن كانت المصيبةُ سماويَّة .

فإن قيل : إذا سُرَّ العاصي في حالِ ملابسةِ المعصيةِ فهل يأثمُ لِسُرورِه أم لا ؟

قلت : إذا سُرّ العاصي بها مِن جهةِ أنّها معصيةٌ أثمَ بذلك ، وإنْ سُرَّ بها مِن جهةِ كونِها لذَّةً ـ مع قطعِ النّظرِ عن كونِها معصيةً ـ فلا إثمَ

عليه في سرورِه ، والإثمُ مختصٌّ بملابسةِ المعصية ، والله عزّ وجلّ أعلم .

١٩ ـ فائدة

احترامُ المصاحفِ أنواعٌ : أفضلُها العملُ بما فيها .

الثاني : إبعادُها من النَّجاسات .

الثالث : إبعادُها مِن المستقذراتِ كالمُخاطِ والبُصاق .

الرابع : إبعادُها مِن مَسِّ المُحدِثِين ، ثم المُجنبين ، ثم الحُيَّض ، ثم حَمْلُها منفردة ، ثم حملُها معَ الأمتعة .

وأمّا القيامُ للمصاحفِ فبدعةٌ لم تُعهدْ في الصَّدرِ الأول ، وإنما بيَّنتُ هذه الحُرم إجلالاً لربِّ العالمين وتعظيماً لكتابِه أن يسوَّى بينه وبين كُتبِ غيرِه .

وأمّا حرمةُ المساجد فبأنْ تُصانَ مِن النَّجاسات ، والمُخاط ، والبُصاق ، وإقامةِ الحُيّض والمُجنِبين ، والبيعِ والشراء ، ورفعِ الأصوات ، وإنشاد الضَّوالّ ، والتصوّن مِن دخولِ الصِّبيان والمجانين ، ومِن اتخاذِها مجالسَ للوُلاة والحُكّام على الاستمرارِ والدوام ، لأنّ أحدَ الخصمَينْ كاذبٌ في الغالب، مبطِلٌ ، فتُصان عن إيقاعِ الباطلِ فيها ، وأنْ لا يُفعلَ فيها إلّا ما بُنِيَتْ له ، وهي الصلاةُ فقط ، والقراءةُ تبعاً لها .

وحرمةُ المسجدِ الأقصى آكدُ مِن غيره : لقدمه ، ولشدّ الرِّحالِ إليه ، وكثرةِ مَن طَرَقَه مِن الأنبياءِ والأولياء والصّالحين .

ومسجدُ المدينةِ أفضلُ منه .

والمسجدُ الحرام أفضلُ مِن مسجدِ المدينة لما اختصّ به مِن الفضائل والأحكام .

وإنما بَيَّنْتُ حرمةَ المساجد تمييزاً لبيوتِ الله عن بيوت الناس إجلالاً وتعظيماً له .

٢٠ ـ فائدة

أوقاتُ الصَّلواتِ مرتّبةٌ بحركاتِ الشمسِ وانتهائِها في أماكنَ مخصوصة ، ويُعرفُ انتهاؤها إلى تلك الأماكن بالأمارات الدَّالّة على انتهائِها إليها ؛ فاستواؤها سببٌ لكراهةِ النوافل ، وزوالُها سببٌ لوجوبِ الظُّهر ، وانتهاؤها إلى حدٍّ يصيرُ ظِلُّ الشخصِ فيه مثلُه سببٌ لصلاةِ العصرِ وتوابعِها ، وانتهاؤها إلى الاصفرارِ سببٌ لكراهةِ الصلاة ، وانتهاؤها إلى الغروب سببٌ لصلاةِ المغربِ وتوابعِها ، وانتهاؤها إلى حدٍّ يَغِيبُ فيه الشَّفقُ سببٌ لصلاةِ العشاء وتوابِعها ، وانتهاؤها إلى الثلث الأخير سببٌ لإعطاءِ السائلين وإجابةِ الدَّاعِين وحطّ ذُنوبِ المستغفِرين ، وانتهاؤها إلى حدٍّ يظهرُ فيه الفجر سببٌ لصلاةِ الفجرِ وتوابعِها ، وانتهاؤها إلى حدٍّ تطلعُ فيه سببٌ لكراهةِ التنفُّل ، وانتهاؤها في الارتفاعِ إلى قيدِ رمحٍ سببٌ لصلاةِ الضُّحى وجوازِ التنفُّل .

ولم تُشرعِ الفرائضُ في جوف الليل لما فيه مِن المشاقِّ ، وشَرع التنفُّلَ لئلّا تفوتَ القُرُباتُ على مَن أرادها .

وأطولُ الأوقاتِ وقتُ العِشاء ، وأقصرُها وقتُ المغرب ، والأصح

أنه موسَّعٌ إلى مغيبِ الشَّفق ، ولم أقفْ في طولِ الأوقاتِ وقصرِها على شيءٍ أعتمدُه ، وإنّما فُرِّقتِ الصلواتُ على الأوقات ، ولم تُجْمَعْ في وقتٍ واحدٍ لما في ذلك مِن المشقّة والسأمة ، ولأنَّ الخُشوعَ والخُضوعَ لا يطُولُ زمنُهما في الغالبِ ويُعرفانِ مع طولِ الزّمان بحيث يعسرُ ردُّهما إلا باستحضارٍ شافٍ ، فَوُزِّعتِ الصلواتُ على الأوقات لذلك ، وقُرِّبَ بعضُها من بعض لأنّه لو طالَ أمدُها لنسيَ الإنسانُ ربَّه ، وأطال عهدَه بذكرِه ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه : ١٤] أي لتذكرني ، والله ذاكرٌ من ذكرَهُ ، وشاكرٌ مَن شكَرَه ، والصلاةُ مشتمِلةٌ على ذكرِه ، وأفضلِ شُكرِه ، فإنَّ شكرَه بطاعتِه ، واجتنابِ معصيتِه ، وشكرُه إيّانا بمثوبتِهِ وكرامتِهِ ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ١٥٨] أي شاكرٌ لتطوّعِهِ بالمثوبة ، عالمٌ بتطوّعِه في قلّتهِ وكثرتِهِ ، فهو يشكُره على قدرِ فضلِ طاعتهِ وقلّتِها وكثرتِها .

ولم أقف على معنى كراهةِ الصلاة في الأوقات الخمس ، ولا على معنى التعليل بطلوعِها بين قرنَيّ الشيطان ، ومقارنتهِ إيّاها عند الاستواء والتنصيف[1] والغروب . وقد عُلّل ذلك بأنّ عُبّادَها يصلُّون لها في هذه الأوقات ، وهذا لا يصحُّ ؛ فإنَّ تعظيمَ الله في الأوقات التي يُسجدُ فيها لغيره أولى لما فيه مِن إرغامِ أعدائهِ .

ولستُ أتكلَّفُ الكلامَ فيما لا أعلمُه ، ولا الجوابَ بما لا أفهمُه ،

---

(١) تحرّفت في الأصل إلى : « التصنيف » ، و« التنصيف » هنا هو انتصاف النهار .

وأرجو أنْ يُطلِعني الله على مرادِ رسولِ الله ﷺ في ذلك ، ثم لو صَحّ هذا التعليلُ فأيُّ فرق بين صلاة لها سببٌ أو لا سببَ لها ، والموفَّقُ مَن رأى المُشكِلَ مشكِلاً ، والواضِحَ واضِحاً ، ومَن تكلَّفَ خلافَ ذلك لم يَخلُ مِن جهلٍ أو كذب .

فإنْ كانتِ الشمسُ حيواناً مطيعاً لربِّه ، كما زعَم بعضُ الناس ! فقد أمَرنا بموافقتِه في طاعته عند هذه الحرمات ، فإنَّ الاقتداءَ في الخيراتِ مشروع .

٢١ ـ فائدة

أموالُ أهلِ الحربِ أقسام :

إحداها : ما يؤخذُ بالسَّرِقة ، فيختصُّ به آخذُه . كما يختصُّ بتملُّكِ المباحِ ، ولا خُمسَ فيه .

القسم الثاني : ما يؤخذُ بالمعاملات ، فيجبُ أداءُ أعواضِه إليهم ؛ إذ لا يجوزُ خيانتُهم في ودائعهمْ وأمانتِهم ، ولا في شيء مِن معاملاتِهم ، فإنَّ الله لا يحبُّ الخائنين .

القسم الثالث : الأسلابُ التي يستحقُّها المقاتِلون[1] ، ولا خُمس فيها ، وإنّما جُعلت للقاتلين لأنهم كفوا مؤنة مَن قتلوه مِن الكافرين ؛ وكذلك لو قطَع أحدُهم يدَيّ الكافر ورجلَيْه لاستحقّ سلبَه لأنّه دفَع شرَّه ، بقطعِ أطرافِهِ فأشبَه دفعُه بقتلِه .

---

(١) تحرّفت في المطبوعة إلى : « المقاتلين » .

القسم الرابع : الفيء المأخوذُ مِن غيرِ إيجافِ خيلٍ ولا رِكاب ، وقد كان لرسولِ الله ﷺ في حياتهِ لقوةِ إرعابهِ المشركين ، فإنَّ الرّعبَ كان يسيرُ بين يدَيْه مسيرةَ شهر ، وأمّا بعدَ موتهِ فالأصحُّ أنه يخمّس ، وفي أربعةِ أخماسِه قولان :

أحدهما : أنه لأجنادِ المسلمين ، لأنّهم قاموا مقامَه في إرعابِ الكافرين .

والثاني : لمصالح المسلمين ، لأنّها أعمُّ وأنفع . ولم يقمْ إرعابُه الأجنادَ مقامَ إرعابِ الرسول في قوّته ، ومسيرِهِ بين يدَيْه مسيرةَ شهر ، وعلى قول : تُصرفُ جملةُ الفيء إلى مصارفِ خمس الغنائم ، وهو ظاهرُ القرآن .

القسم الخامس : الغنائمُ المأخوذةُ بإيجافِ الخيل ، والرِّكاب ، وتكثيرِ السّواد وهي مخمَّسةٌ بنصّ الكتاب ، ولا يخفى ما في تخميسِها مِن المصالَح . وأما أربعةُ أخماسِها فللغانمين ، لأنّهم نُسبوا إليها بإيجافِ الخيل ، والرِّكاب ، وبتكثيرِ السَّواد ، وكان سهمُ رسولِ الله ﷺ مِن أربعةِ الأخماس مثلَ سهم الفَارس وهو ثلاثةُ أسهمٍ مضموماً إلى سهمِه مِن خُمسِ الخُمس .

فإن قيل : لِمَ سَوَّى بين الفرسان في السَّهمَيْن مع تفاوتِهم في النِّكاية ؟

قلنا : لمّا تعذَّرَ ضبطُ ما يفعلُه كلُّ واحدٍ منهم ، تعذَّر ألَّا يمكنَ دفعُه ، سَوَّيْنا بين مَنْ عظُمت نكايَتُهُ ، وبينَ مَنْ خَفّتْ نكايتُه ، كما

سَوّينا بين مُكثِّري السَّواد ، وبين المقاتِلين ، وكذلك التسويةُ بين الرِّجالة مع التفاوت في القتالِ والنِّكاية .

٢٢ ـ فائدة

الغلبةُ مفسدةٌ شاقّةٌ على المغلوبِ ، عامّةٌ مؤلمةٌ له ، سارَّةٌ للغالب ، مشمّتةٌ له بالمغلوبِ ، مخجِّلةٌ له ، ويجوزُ ذلك بل يجبُ في غلبةِ الكفرة ، وعليه كل مَن يجبُ قتالُه جائزة ، وفي حقّ مَن يجوزُ قتالُه لِرُجحانِ مصلحةِ الغلبة .

والغلبةُ في القِمار محرّمةٌ لما ذكرنا ، فإنْ أُخِذ فيها المالُ تضاعَفَتِ العداوةُ والحقدُ من المغلوب ، والشَّماتةُ من الغالب ، وحَرُمَ ، ويبقى المالُ المقصورُ به في ذمّةِ القاصر .

والغلبةُ في السِّباقِ والنضال جائزةٌ ، لأنّ ذلك مِن أسبابِ القتال فَيُحملُ لِرُجحان مصالحِ القتال مفاسدَه ، مع أنَّ الغالبَ فيه يفوزُ ببشاشةِ القلبِ وبالسبق ، ويختصُّ المغلوبُ بمعرَّة[1] الغُلب وغبنِ أحدِ السّبق .

والشطرنجُ مُوجِبٌ لمضارّ الغالبِ على المغلوب ، مشمِّتٌ بخصمِه ، فإنِ انضمَّ إليه أخذُ العِوَضِ حرُمَ لتضاعفِ المفاسد ، وإنْ لم يَنضمَّ إليه أخذُ مالٍ فقد اختلَفَ العلماءُ فيه .

والنّردُ محرَّمٌ بالعِوَضِ لما ذكرناه ، وكذلك بغير عِوَضٍ على

---

(١) تحرّفت في المطبوعة إلى : « بمعرف » .

الأصحّ ، ولم أقفْ على صفتهِ حتى أعرفَ علّته فأفرقَ بينَ مفاسدِه وبين مفاسدِ الشطرنج .

ومَنْ غلبَ في الجدلِ بالباطل مع علمهِ بالحقّ أثم لجدلهِ ، وإفحامِ خصمِه[1] .

ولا يجوزُ إيرادُ الإشكالاتِ القوية بمحضرٍ مِن العامّة ، لأنّه سببٌ إلى إضلالِهم وتشكيكِهم ، وكذلك لا يُتفوّهُ بالعلوم الدقيقةِ عند مَن يقصُر فهمُه عنها فيؤدّي ذلك إلى ضلالته ، وما كلُّ سِرٍّ يذاع ، ولا كُلُّ خبرٍ[2] يُشاع .

٢٣ ـ فائدة

إنْ قيل : كيف تجمعونَ بين قولهِ عليه الصّلاة والسلام : « الإيمان بضعٌ وسبعون شُعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق »[3] ، وبين قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧] ، فالجوابُ من وجهَيْن :

---

(١) يقول المؤلف في آخر كتابه (الفوائد في اختصار المقاصد) : « لا يجوز الجدلُ والمناظرة إلّا لإظهارِ الحقّ ونُصرتِه ، ليُعرَفَ ، ويُعملَ به ، فمن جادَل لذلك فقد أطاع وأصاب ، ومن جادَل لغرضٍ آخَر فقد عَصى وخاب » .

(٢) في الأصل : « خير » بالمثناة ، فصوّبناه .

(٣) أخرجه أحمد في (المسند) ٢/٢٤١ ، ومسلم (٣٥) في الإيمان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ؛ وتتمته : « والحياء شعبة من الإيمان » ، وقد ورد في رواية البخاري (٩) أن : « الإيمان بضع وستّون شعبة » لا « بضع وسبعون » ؛ وقد أجاب عن هذا الإشكال الحافظ ابنُ حبّان في (صحيحه) ١/٣٨٧ ، فذكر أنّه عدّ كلّ طاعة عَدّها =

أحدهما : أنَّ هذا مِن دفعِ المفاسد ، ومثقال الذّرة مِن جلبِ المصالح .

والثاني : وهو أَوْلى ، أنَّ رُتَبَ شعبِ الإيمان المجازي ينتهي بإماطةِ الأذى عن الطريق ، لأنَّ شُعَب الإيمانِ أفضلُ مِن غيرها من أنواعِ الإحسان ؛ فإنّا نعلمُ أنَّ مُمِيطَ الأذى عن الطريق محسِنٌ إلى كلِّ مجتازٍ بالطريق ، وهذا من الفعل الواحد الذي يتضاعَفُ أجرُه بتضاعفِ أنفعهِ ، كالمؤذِّن والخطيبِ يتضاعَفُ أجرُهما بتضاعف أعدادِ سامِعِيْهما ، وكذلك أمرُ الجماعةِ بمعروفٍ واحدٍ بلفظٍ واحد ، ونهيُ الجماعة عن منكرٍ واحد بلفظٍ واحدٍ ، وكذلك التبشيرُ والإنذار .

نجزت بحمد الله وعونه على يد فقير عفو ربّه

عبد الله بن علي بن عبد الرحيم

اللهم اغفِرْ له ولوالدَيْه ولمالِكها ولِمَنْ نظَرَ فيها

ودعا لهم بالمغفرة والموت على الإسلام ، وللمسلمين أجمعين

وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وآله وصحبِه أجمعين

حسبنا الله ونعم الوكيل

= رسولُ الله ﷺ من الإيمان ، فإذا هي تنقص من البِضع والسّبعين ، وعَدّ كُلَّ طاعةٍ عَدَّها الله جَلّ وعَلا في كتابِه من الإيمان ، فإذا هي تنقص عن البِضع والسّبعين ، فَضَمَّ الكتابَ إلى السُّنَنِ ، وأسقط المعادَ منها ، فإذا كلُّ شيء عَدّه الله جلّ وعلا من الإيمان في كتابه ، وكُلُّ طاعةٍ جعلَها رسولُ الله ﷺ من الإيمان في سننه ، تسعٌ وسبعون شعبة ، لا يزيد عليها ولا ينقص منها شيء .

الفهارس الفنية

١ ـ فهرس الآيات الكريمة

ملحوظة : الأرقام التي تسبق اسم السورة هي رقم ترتيبها في المصحف ، وأمّا الأرقام الواقعة خارج قوسين فهي تدلّ علىٰ رقم الآية ، وأما ما يقع داخل قوسين فيدلّ علىٰ رقم الصفحة .

٢ ـ فهرس الأحاديث الشريفة

٣ ـ فهرس مصادر التحقيق

١ ـ الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، لابن بلبان الفارسي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٠٨ .
٢ ـ الأسرار المرفوعة في الأحاديث الموضوعة ، لملا علي القاري ، تحقيق محمد السيد بسيوني زغلول ، بيروت : دار الكتب العلمية .
٣ ـ أعيان العصر وأعوان النصر ، لابن أيبك الصفدي ، مصورة عن نسخة تركية .
٤ ـ بداية السول في تفضيل الرسول ﷺ تسليماً كثيراً، للعز بن عبد السلام ، تحقيق إياد خالد الطباع ، دمشق : دار الفكر « تحت الطبع » .
٥ ـ تحفة الأحوذي بشرح الترمذي ، للمباركفوري .
٦ ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن ، لابن جرير الطبري ، البابي الحلبي
٧ ـ الجامع الصحيح ، للترمذي ، تحقيق عزت عبيد الدّعّاس ، حمص : دار الدعوة ، ١٣٨٥ .
٨ ـ الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة ، لابن حجر العسقلاني ، ط الهند .
٩ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي ، بيروت : دار الكتب العلمية .
١٠ ـ الروح ، لابن قيِّم الجوزية .
١١ ـ شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال ، للعزّ بن عبد السلام ، تحقيق إياد خالد الطباع ، دمشق : دار الطباع ، ١٤١٠ .
١٢ ـ صحيح مسلم ، ضبطه محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .
١٣ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر العسقلاني ، المكتبة السلفية بمصر .

١٤ ـ الفوائد في اختصار المقاصد ، للعز بن عبد السلام ، تحقيق إياد خالد الطباع ، دمشق : دار الفكر ، « تحت الطبع » .

١٥ قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، للعزّ بن عبد السلام ، تحقيق عبد الغني الدقر ، دمشق : دار الطباع ، ط١ ، ١٩٩٢ .

١٦ ـ لسان العرب ، لابن منظور ، ط دار المعارف بمصر .

١٧ ـ المسند ، للإمام أحمد بن حنبل ، ط١ الميمنية .

١٨ ـ مفحمات الأقران في مبهمات القرآن ، للسيوطي ، تحقيق إياد خالد الطباع ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٩٨٦ .

١٩ ـ المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة علىٰ الألسنة ، للسخاوي .

٤ ـ فهرس المحتويات

آثار المحقق

مفحمات الأقران في مبهمات القرآن : للحافظ جلال الدين السيوطي ، طُبع لأول مرّة محققاً على ثلاث نسخ خطّيّة ، خرّج المحقّق نصوصه وآثاره ، وألحق به عشرة فهارس متنوّعة . صدرت الطبعة الثانية منه عن مؤسسة الرسالة في بيروت عام ١٩٨٨ .

الإخلاص والنّية : للحافظ ابن أبي الدنيا ، جمع فيه المؤلف آثاراً وأخباراً في وجوب الإخلاص في النية . صدر عن دار البشائر بدمشق عام ١٤١٣ .

سلسلة مؤلفات الإمام العز بن عبد السلام :

١ ـ شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال : قال فيه مؤلّفه : « من فهم مقاصد هذا الكتاب ... لم يكد يخفىٰ عليه أدب من آداب القرآن » . وقال فيه ابن السُّبكي : « حسن جداً » .

صدر عن دار الطباع بدمشق عام ١٤١٠ .

٢ ـ رسائل في التوحيد : يتضمن أربع رسائل :

١ـ الملحة في اعتقاد أهل الحقّ .

٢ ـ الأنواع في علمْ التوحيد .

٣ ـ الرّد عن الحشوية والمبتدعة (رسالة في التوحيد) .

٤ ـ وصيّة العز بن عبد السلام .

٣ ـمعنىٰ الإيمان والإسلام ، أو الفرق بين الإيمان والإسلام .

٤ ـ مقاصد الصلاة : رسالة نفيسة في أسرار الصلاة ومقاصدها ، ومعاني الأقوال والأفعال بها .

٥ ـ مقاصد الصوم : رسالة في تبيان وجوبه وفضائله وآدابه وأحكامه .

٦ ـ مناسك الحج : رسالة موجزة ألّفها العزّ لتكون في رفقة الحاج من مغادرته بلدَه حتىٰ عودته إليها .

٧ ـ الفتن والبلايا والمحن والرَّزايا ، أو ، فوائد البلوىٰ والمحن : رسالة نفيسة ضمَّ سلطان العلماء في ثناياها سبعة عشر فائدة من الفوائد الظاهرة والخفيّة التي يكتبها الله لعباده المبتلين .

٨ ـ ترغيب أهل الإسلام في سُكنىٰ الشام : ذكر فيه الآثار والأخبار الواردة في فضائل الشام وأهله ، وتفضيل دمشق على الخصوص .

٩ ـ بداية السُّول في تفضيل الرسول ﷺ : ذكر فيه الأدلّة على تفضيله ﷺ على الأنبياء والمرسلين والملائكة .

١٠ ـ بيان أحوال الناس يوم القيامة ، أو ، أحوال الناس وذكر الخاسرين والرّابحين منهم : بيّن فيها المؤلّف رحمه الله أحوال الناس ، والمفاضلة بينهم ، ومع غيرهم كالملائكة والجمادات ، كما عرض للذات الجنة ، وغموم النار ، وألحق ذلك بذكر الإحسان القاصر والمتعدي ، والإساءة القاصرة والمتعدّية .

١١ ـ مقاصد الرّعاية لحقوق الله عزّ وجلّ : اختصر به كتاب « الرّعاية » للحارث ابن أسد المحاسبي اختصاراً غير تقليدي ، وإنّما صاغه صياغة جديدة بأسلوبه المميَّز .

١٢ ـ الفوائد في اختصار المقاصد ، أو ، القواعد الصغرىٰ : اختصر فيه كتابه « قواعد الأحكام في مصالح الأنام » وأضاف إليه فصولاً جديدة بحيث لا يغني كتاب عن كتاب .

١٣ ـ الفتاوىٰ الموصلية .

١٤ ـ الفتاوىٰ المصرية .

بيان أحوال الناس يوم القيامة

هذه رسالة عزيزة في بيان أحوال الناس ، تكلّم فيها مؤلّفها عن المفاضلة بينهم ، كما تكلّم عن المفاضلة مع غيرهم كالملائكة والجمادات ، كما عَرَض للذات الجنة وأفراحها ، وغموم النار وآلامها ، وألحق ذلك بذكر الإحسان القاصر والمتعديّ والإساءة القاصرة والمتعدّية ، ثمّ أتبع ذلك بذكر فوائد متفرّقة مفيدة ، وإشارات حسنة رفيعة .